



ذكريات مدرس

أحمد الهمداني بكريه



المكتبة الصغيرة

كتاب مدرّس

عبد الرحمن بن عبد الصّباح

مدرس ومفتش سابق بوزارة المعارف السعودية

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

صفر ١٤٠٠ هـ - يناير ١٩٨٠ م

الغلاف من تصميم الفنان :

هشام أبو عودة

هذا العدد ختام المجلد الثالث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(فضل العالم على الجاهل كفضلي على أدناكم)

حديث شريف

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ... وبعد : قد طلب منى بعض من تربطنى به روابط الدراسة والتدريس وقد سبقت لهم مطالعة كتابى (تربية النشء) أن أضع كتيباً صغيراً يحتوى على ذكرياتي عن الأيام بل الأعوام التى قضيتها ، وتشرفت فيها بالانضمام الى هيئات خدمة العلم والثقافة فى مراحلها الأولى بالمدارس ، نظراً لأننى واكبت هذه المراحل منذ نعومة أظافرى ، تلميذاً فى العهد العثماني التركي، ومراهقاً فى العهد الهاشمي، ويافعاً فى وظائف هذه الخدمة على العهد السعودى .

ولقد شاهدت الكثير ، وتسمعت الى أحاديث الرواة ، وقرأت القليل فى صحائف المسجلين (١) ، وحضرت أحداثها المتصلة والمنفصلة ورافقت من أفراد تلك الهيئات الكثير دارساً ومدرساً وغير ذلك . وبعد تردد منى فى الاستجابة للطلب وإبراز الفكرة الى حيز الوجود عقدت العزم على المضي فيه مستعيناً بالله راجياً منه التوفيق والهداية .

عبد الرحمن بكر الصباغ

(١) لقد كان تسجيل الحركة التعليمية بأقاليم شبه الجزيرة العربية لا يعدو بضع جمل فى المؤلفات عن هذه الأقاليم وذلك لأنها حركة خاصة تجرى على يد أفراد قلائل وعند اهتمام الدولة العثمانية أو الهاشمية بهذه الحركة لم تبعد كثيراً عن أطوارها السابق ، وعندما اتسعت دائرة هذه الحركة فى عهدها الأخير ورغب المؤلفون فى التسجيل لم يجدوا من المراجع ما يركنون اليه لبدء تسجيل حركتها القديمة ، وكتابى (تربية النشء) هو الأول من نوعه فى التسجيل .

مَاضِي التَّعْلِيمِ وَحَاضِرُهُ ..

وقبل البدء في المسير وبعون الله أردت أن أتحدث ببعض الكلمات المجملة القصيرة عن ماضى التعليم وحاضره ، مبيناً الفرق بين ذاك الماضى وهذا الحاضر ، والجهد الذى استوعبه الماضى حتى وجد الحاضر طريقه المعبود ، وقصرت مسافة مسيرته الى آفاق التطور والاستيعاب .

الماضى ومكابداته :

ومكابدات الماضى التى تمخض عنها تسير مسيرة الحاضر ملخصة فيما يأتى :

أولاً : الماضى هو الأساس الذى أغنى الحاضر بعطائه في مختلف المجالات ولا شك ان العمل الأول (الأساس) في كل مشروع عادة يلاقى من الصعاب والعقبات ما يحتاج لتحقيقه وإبرازه وتنفيذه من المتصدي جهوداً مكثفة ، وأوقاتاً طويلة مملة ، ومكابدات جمة .

ثانياً : لذلك كان الدارسون والمدرسون في الماضي ينحتون الصخر ليصلوا بالمسيرة الى المستوى البسيط ، لأن هذه المسيرة جرت في الوقت الذي كان الجري وراء لقمة العيش وتحقيق مطالب الحياة الضرورية ، يطفغان على كثير من رغائب المجتمع العامة والكمالية الخاصة .

ثالثاً : كان الحصول على الوسائل والأماكن (مما يساعد الدارس والمدرس والادارة) يحتاج الى بذل لتذليل الصعاب والعقبات في احضاره ، وهذا لا شك يزيد العمل مكابدة ، لأن المجتمع آنذاك يعيش في أذيال الغفوة التاريخية الطويلة ، وما صاحبها من فقر وجهل ومرض .

رابعاً : ولقد كانت هذه المكابدات وأحوال المجتمع تدفع القائمين على شئون التعليم الأخذ بالأيسر والأقرب في الاجراءات والمعاملات الخاصة والعامة لكي يصلوا بالمستوى العلمى والتعليمى الى الغاية القصوى في الأداء مما يمكن معه تطور حياة المجتمع . هذا من جهة ومن الجهة الأخرى لتسهيل

الأمر على الراغب فى الحصول على قسط من العلم والمعرفة بما يتوافر له من جهد قليل ووسائل بسيطة ووقت قصير ، ومن ثم تزداد احصائية الدارسين والمتعلمين فى المجتمع ، فمثلا اذا أراد راغب فى الالتحاق بالمدرسة أو الحضور فى حلقات تدريس شيخ من علماء المسجد ، فما عليه فى الحالة الأولى الا أن يتقدم لادارة المدرسة فتلحقه بفصولها دون أخذ ورد ، وفى الحالة الثانية يقوم شيخه باعطائه نسخة من الكتاب الذى يدرسه ثم ينتظم فى حلقات تدريسه .

أما الحاضر فلا بد للاحاق تلميذ بمدرسة أن يقوم بملء الاستمارات واحضار الشهادات للسلوك واثبات الهوية ، ثم الانتظار حتى يحصل على مكان بالمدرسة أو التحول الى مدرسة أخرى فى مرحلة من المراحل .

الحاضر وترفه :

وأقول الحق لو أن الدارس القديم أدرك هذا الحاضر وترفه بجهد الماضى لبلغ المستوى الذى لم

يبلغه الكثيرون ممن يعيشون هذا الحاضر لما يشتمل عليه هذا الحاضر من الامكانيات الآتية :

أولاً : رخاء في العيش لدرجة أن الدارس يمكنه أن يحصل على وارد في كل مرحلة من مراحل دراسته ، وربما لمن يعولهم ، وقد أخذ هذا الوارد في بعض المراحل يلعب دوراً كبيراً في السبق للنجاح ، وليس ذلك في الدراسات العامة ومراحلها فقط بل في الحصول على الشهادات العليا (الليسانس والبيكالوريوس والماجستير ، والدكتوراه) لا سيما لمن غلبت عليهم الميوعة وأبطرهم الترف ، لذلك كان الماضي يجهد للتركيز على العلم ، والحاضر يجرى وراء الشهادات ومن ثم فالدارسون القدماء أقوى فيما وصلوا اليه مجالا وكفاءة واستطاع بعضهم أن يقفز بمستواه العلمي الى المشاركة في مسيرة التعليم الحاضر العام والعالي دون ما (ماجستير أو دكتوراه) .

ثانياً : توافر الوسائل التعليمية ، وامكانيات

الثقافة ، وتعدد أشكالها وتقدمها فنياً مما يجعل الشرح والايضاح والاستيعاب حاصلًا عن طريق السمع والبصر من عدة نواحي ، وبما فيه الكفاية للادراك العادى والفهم السريع ، بل ووجدت منه الوسائل للمعوقين فى ممارستهم السمعية أو البصرية أو هما معاً فى مراحل تعليمهم الخاص .

فنشاهد اليوم مثلاً بعض العميان والصم يلتحقون بالدراسات العليا وينالون شهاداتها ، وقد كان الالتحاق بمراحل التعليم العالى والحصول على شهاداته للسويين من أصعب الأمور لا سيما على متوسطى الدخل ، فهو يحتاج الى نفقات باهظة ومكابدات الغربة الطويلة خارج الوطن ، لأن بلادنا كانت خالية من تأسيسات التعليم العالى والحصول على شهاداته .

ثالثاً : أضحي التنسيق للمقررات والمناهج فى تدرجها واختيار مواد لها لكل مرحلة من المراحل التعليمية يخضع للنظريات والقواعد المبنية على أبحاث علم النفس ومقاييس الذكاء ، وطرق

التدريس ، بصورة تجعل للنشاط والترفيه حصصاً في الجدول الدراسي اليومي ، ومن ذلك ما طرأ على المنهاج التعليمي الجديد في مراحلها العليا حيث تم تحديد الساعات واختيار المواد المناسبة لكل مرحلة تحت اشراف مدرس كل مادة وارشاداته ، وهذه الطريقة تحمل الدارس مسؤولية سير دراسته أكثر من ذي قبل وتضع لارادته دخلاً في الدراسة وتفسح له مجال العمل لها وتحدد مواعيد الأداء .

رابعاً : العناية بموظفي التعليم من حيث الاعداد والأهلية والتخصص فهناك اليوم معاهد وكليات ودورات تدريبية وابتعاث لكل مرحلة ادارياً وفنياً تجعل من الاداري ناجحاً في حدود النظام والصلاحيات ، كما تجعل المدرس يستطيع الوصول بمقررات منهجه الى النجاح الحقيقي في راحة ويسر والزمن المحدد للاستيعاب .

خامساً : الكتب والمذكرات بعدت كل البعد عن الحشو والتكديس والتطويل وكثرت فيها التمارين الشفوية والتحريرية والتبسيط في حل المسائل ،

وأضيفت اليها الرسوم والصور مما يجعل الوصول بالمعلومات الى فهم الدارس واستيعابه في الزمن المحدد للمقرر من المادة أمراً لا بد منه ، مع ارتفاع النسبة المئوية للنجاح وفي الوقت نفسه يسهل مهمة المدرسين والدارسين .

سادساً : حصول الدارس على عمل بمجرد تسلمه للشهادة لا سيما أصحاب الشهادات العليا ولا شك أن هذا يدفعه للجهد والاجتهاد ، ويدفع ذويه الى ملاحظته في ذلك والمبادرة بتعليمه في الأزمنة المحددة ، والصبر على فراقه حين شخوصه الى أية جامعة في خارج بلده .

أما الدارس القديم فقد كان اجتهاده للعلم فقط ، لأن سبل العيش من الضيق والقلّة والبساطة بحيث يستوى فيها الجاهل والمتعلم ، وفي هذا الصدد اذا روى الرواة لمتعلمي اليوم أن وزيراً للداخلية في عهد من العهود البعيدة كان أمياً بهتوا وأخذ منهم العجب كل مأخذ .

سير التعليم والمستوى الحضارى للمجتمع

يسير التعليم في تطوره وتقدمه بالقدر الذى يكون المستوى الحضارى للمجتمع آخذاً في النمو ، اذ هو الباعث على قدرة الانسان للادراك والفهم وهما الأساس الذى يدفعه للتأمل والبحث ، وهما الطريق الى العلم والتعلم ، ولما كانت أقطار شبه الجزيرة العربية تغلب على معظمها الحياة الفطرية والقبلية وبداوتها ، فقد تخلفت عن المستوى التعليمي والعلمي في الوقت الذى نجد فيه الأقطار الأخرى للبلاد العربية خارج شبه الجزيرة كان لها السبق في المستوى الحضارى والمدني ومن ثم ارتفاع المستوى العلمي والتعليمي .

وكان للامتزاج والتداخل بين أفرادها والمتعلمين من أبناء المجتمعات الغربية في أزمنة الاستعمار السبب الرئيسى في ذلك ، وفيما يختص

بالحجاز فقد بلغ المستوى التعليمى فى تأسيساته
الأولى مستوى لا بأس به خلافاً لباقى أقطار شبه
الجزيرة العربية بسبب ما وجد فيه من علماء
البلاد العربية والإسلامية المتقدمة حضارياً وتعليمياً،
وقيامهم بنشر معارفهم وثقافتهم فى مجتمعات
حواضره ومدنه ، ولقد كان نصيب كل من مكة
والمدينة وجدة والطائف وينبع وأوفر نصيب من تلك
المعارف والثقافات ، وبما أن أولئك المهاجرين
تغلب عليهم الصبغة الدينية التى بسببها كانت
هجرتهم للحجاز ومدنه فراراً من الاستعمار
وإرسالياته التبشيرية ووسائله الأرهاية ، فقد
كان لعلوم الدين واللغة العربية الشمول للتعليم
ووجود الكثير من المتعلمين فى تلك الحواضر والمدن .
وهذا لا يمنع من وجود أفراد من المتعلمين للدين
واللغة العربية فى باقى أقطار شبه الجزيرة ممن
استطاع السفر والإقامة خارج بلاده مدة من الزمن
والأخذ بأسباب التعلم وطلب العلم والمطالعة
والاطلاع .

التعليم في الحجاز ومؤسساته (١) :

بدأ التعليم في حواضر الحجاز ومدنه بالكتّاب في مساجد الأحياء وسببه وفود بعض العارفين للقراءة والكتابة واستقرارهم في تلك الحواضر واتخاذهم المساجد الصغيرة وسيلة للارتزاق والاقامة . ومن هؤلاء المهاجرين علماء في الدين واللغة العربية اتخذوا مساجد صلاة الجمعة في تلك الحواضر موطناً لنشر ثقافتهم ، ومن ثم كان التعليم داخل مساجد الأحياء أو في المساجد الكبرى كآلاتي :

أولاً : كتاتيب الأحياء ، وهذه مهمتها تعليم القراءة للصور القرآنية ، وربما يضاف إليها الكتابة في بعض الأحيان ، واجتماع الصبية عادة في هذه الكتاتيب لم يكن بقصد التعلم وحده كما هو متعارف في ذلك الحين بل حفظ الصغير من التوهان

(١) لم يسبق لي مشاهدة التعليم وسيره في اقطار شبه الجزيرة الا ما طالعت في الكتب او رواه الرواة لذلك لم أستطع سوى متابعة التعليم ومؤسساته في الحجاز - وقد ذكر الشيخ حافظ وهبة بعض كلمات عن التعليم في شبه الجزيرة العربية لا يخرج عما ذكرته في كتابي (تربية النشء) .

في الأزقة والشمس وحفظه من الفساد ، ومع ذلك كانت تخرج من هذه الكتاتيب فئات ممن يحسنون القراءة والكتابة وينضمون الى كتاتيب أرقى في المواد التعليمية .

ثانياً : الكتاتيب بالمساجد الكبرى وحولها ولا سيما المسجد الحرام ، والمسجد النبوي ومسجد ابن عباس بالطائف فانها تعنى بتعليم الخط والقراءة ، وبعض قواعد الاملاء ومبادئ الحساب على الطريقة الهندية التجارية ، وأذكر ممن التزم بهذا العمل في المسجد الحرام أستاذنا الكبير الشيخ محمد حلمي الخطاط (١) ومقامه بدكة باب علي ، والشيخ ابراهيم الخلوصي يرحمه الله بدكة باب الزيادة ، ولا تزال المساجد الكبرى تعمر ببعض الكتاتيب .

ثالثاً : كتاتيب في مستوى المدارس النظامية ذات المدرس الواحد ، وهذه كانت تعنى الى جانب

(١) لقد كان الأستاذ محمد حلمي مدرسينا لتحسين الخط بالمدرسة الفخرية ثم انتقل الى مدارس الحكومة فخلفه الشيخ ابراهيم وهبي رحمه الله .

تعلم القراءة والكتابة بتحسين الخط واستظهار
المصحف وتجويد قراءته وقواعد هذا التجويد ،
ومعرفة قواعد الاملاء ، والأربعة القواعد الحسابية
الأصلية ، ومبادئ القواعد النحوية ، ودراسة
السيرة النبوية ، ومن أشهر هذه الكتابات كتاب
(الشيخ عبد الحق الهندي) (١) وكتاب (الشيخ
سعد الله الهندي) وكتاب (الشيخ عبد الله حمدوه
السناري) (٢) وكتاب (الشيخ السركتي السناري)
رحمهم الله جميعاً وأثابهم على ما بذلوه في سبيل
العلم ، وأماكن هذه المدارس كانت منتشرة في
الأبنية المشرفة على أروقة المسجد الحرام والمسماة
آنذاك بالمدارس لأنها بنيت خصيصاً لطلبة العلم
والدارسين فيها (٣) .

(١) كتاب الشيخ عبد الحق الهندي مقره باب ابراهيم وتحول فيما بعد
الى المدرسة الفخرية . وكان مقر كتاب سعد الله باب الدريبة في المسجد الحرام .

(٢) تحول كتاب الشيخ عبد الله حمدوه والشيخ السركتي الى مدرسة
الفلاح وكان الاول مديراً للمدرسة .

(٣) جرى الاستيلاء على هذه الأماكن وتحويلها الى أملاك في العهد
العثماني الأول .

حلقات التدريس بالمساجد الكبرى :

وأخيراً يمكن لخريجي الكتاتيب في مستواها الأخير شبه النظامي أن يصلوا بمعلوماتهم الدينية والعربية الى الحد الأعلى من الادراك والتعمق اذا تيسر لهم الالتحاق بحلقات الدروس في احد المساجد الكبرى من حواضر الحجاز كالمسجد الحرام والمسجد النبوي ومسجد ابن عباس بالطائف ، فقد كانت هذه الحلقات يمكن للدارس أن يجد فيها المبادئ ثم التدرج الى أن يصل الى مرتبة العلماء في ذلك العهد (١) .

وقد ظهر في كل من مكة والمدينة المنورة فريق من هؤلاء العلماء في الفقه والحديث والتفسير وأصولها ، وفي علوم اللغة العربية وقواعدها ، وفي التاريخ الاسلامي والسيرة النبوية ، وأيضاً في علم الفلك الشرعي وما يلحق به من الرياضة على الطريقة الهندية القديمة .

(١) كان الدارس في المساجد الكبرى اذا بلغ المستوى المطلوب من الدراسة أعطته مشيخة العلماء اجازة التدريس بالمسجد بترشيح من شيخه كشهادة ، وتكون بتوقيع المشيخة وكافة علماء المسجد الكبار .

وممن تخرج من حلقات المسجد الحرام المشايخ :
 عمر باجنيد ، وسعيد اليماني وابناه حسن وعلي ،
 والشيخ أبو بكر بابصيل ، والشيخ جمال مالكي ،
 والشيخ عباس مالكي ، والشيخ المرزوقي
 أبو حسين ، والشيخ عبد الله الزواوي ، وبكر
 صباغ ، والشيخ حسن مشاط ، والشيخ عيسى
 رواس ، والشيخ علي مالكي ، وغيرهم كثيرون ،
 ومن المدينة المنورة الشيخ عمر حمدان المحدث
 والعالم الكبير (يرحمهم الله جميعاً) .

والذي بكر صباغ (١) (يرحمه الله) :

وبهذه المناسبة واستطراداً للحديث كان والذي
 علي ما أذكره يصحبني معه وأنا صغير الى المسجد
 الحرام ويتركني وراء ظهره نائماً حتى ينتهي من
 درسه ، ولقد وجدت في كتبه التي خلفها بعد موته
 المتون والشروح والحواشي في التفسير والحديث

(١) قد ألف الأستاذ عمر عبد الجبار يرحمه الله عن التعليم بالمسجد الحرام
 وجاء ذكر والذي في مؤلفه فليراجعه من يريد الحقيقة .

والفقه وأصولها والتاريخ والسيرة النبوية وعلوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة ومنطق وأيضاً في الفلك الشرعى والحساب والجبر على الطريقة الهندية القديمة .

مدرسة الخياط (١) :

ثم عهد الحسين بمكة الى العالم الكبير الشيخ محمد حسين الخياط (رحمه الله) بتكوين مدرسة تحوى المراحل (الأولية ، الابتدائية ، الثانوية) على غرار المدارس الأزهرية بمصر ، وأطلق يده فى وضع المناهج والمقررات واختيار المدرسين ، ولقد كان الاقبال على مدرسة الخياط كبيراً ومنقطع النظر خلافاً لما حلّ على المدارس التركية من الافلاس (٢) .

أما مدرسو مدرسة الخياط فهم على ما أذكر المشايخ : علي مالكي ، جمال مالكي ، والسيد

(١) غلبت التسمية على المدرسة بسبب همة مديرها وذبوع شهرته .
(٢) لم يكن يتوافد على المدارس التركية سوى جالياتهم والمتصقين بهذه الجاليات .

عباس مالكي ، سالم شفي ، عبد الرؤوف الصبان ، مصطفى داغستاني ، أحمد جميل (١) وغيرهم كثيرون يرحمهم الله جميعاً ويثيبهم على ما بذلوه من خدمة العلم ، ولقد تخرج من مدرسة الحياط نخبة كانت النواة التي ملأت وظائف المملكة الهاشمية والعهد السعودي في بدء تكوين المملكة السعودية .

نذكر منهم على سبيل المثال : محمد سرور الصبان ، عمر مهدي أبو شال ، عباس صيرفي وأخاه عمر صيرفي ، ومحمد مرزوقي ، محمد بياري ، عمر قدسي ، هاشم سباك ، شيخ بابصيل وأخاه عبد الرحمن بابصيل يرحم الله الأموات منهم ويغفر للأحياء ، وكذلك شارك هؤلاء الخريجين بمدرسة الفلاح في العهد السعودي : عبد الوهاب آشي ، حامد كعكي ، ابراهيم نوري واخوانه ، واسحق عزوز وغيرهم .

(١) أحمد جميل ، والد علي جميل مدير الأمن السابق وقد تخرج من المدرسة الحربية الهاشمية كان ضابطاً في الشرطة السعودية كما تعلم في مدرسة الحياط ووالده وقد على الحجاز من مصر وأقام فيه .

المدارس التركية :

أما انشاء المدارس النظامية ذات الفصول المتعددة في الحجاز وغيره من أقطار شبه الجزيرة العربية (١) فقد بدأتها الدولة العثمانية على اثر قيام حركة تركيا الفتاة ضد السلطة العثمانية على عهد السلطان عبد الحميد خان ، وذلك بقيادة (مدحت باشا) ورفاقه ، وقد بدأ اهتمام تلك الحركة بنشر التعليم بين القوميات العثمانية ، وأدرجت تعليماتها أثناء وضع الدستور للسلطنة ، وكانت البلاد العربية ومن بينها الحجاز موضوعة في قائمة الاهتمام بالتعليم ، وعلى هذا جرى فتح مدارس (رشدية) ابتدائية في الحواضر في (مكة ، المدينة ، جدة ، الطائف ، ينبع ، الوجه) وخصصت المدينة بمدرسة تجهيزية (ثانوية) .

ولقد تحددت اللغة التركية رسمياً للدراسة في هذه المدارس ، ومن ثم اعتبر العرب أن هذه

(١) لقد تأسست على العهد العثماني مدارس في عسير والاحساء ولكن كان تأثيرها التعليمي والعلمي بسيطاً للسبب السابق ذكره .

المدارس فتحت لتتريك العرب ، وبدأت المعارضة لهذا التتريك وانتهز الحسين هذه الفرصة، وتصدى لقيادة حركة المعارضة لا في الحجاز بل وفي البلاد العربية المتقدمة حضارياً (مصر ، سوريا ، لبنان ، العراق وفلسطين) ، وافتتح مدرسة تعنى بالدين واللغة العربية في مكة كأول بادرة لتلك المعارضة (١) .

المجتمع الحجازي على العهد العثماني :

لقد تجرع المجتمع الحجازي على العهد العثماني مرارة الإهمال والذل والتخلف السياسي والاجتماعي والاقتصادي قروناً طويلة ، وفي ذلك العهد لم يكن لدى هذا المجتمع من سبل العيش سوى المنح والعطايا السلطانية لأصحاب الوجاهة والرئاسة في الحاضرة والبادية (كأنما هو تكية كبرى) .

أما عامة الناس فيعيشون على موارد موسم الحج

(١) كان الولاة الأتراك يزورون مدرسة الخياط بمكة بقصد الاستكشاف وراء شعار التشجيع وتحتفل المدرسة بقدومهم وذلك بصف الطلبة عند الباب وهتافهم بالكلمات التركية الآتية (بادشاهم يوك يشا) ومعناها أطال الله عمر عظمة السلطان .

البسيطة ، وهي لقلتها تجعلهم في فقر مستمر وحياة
بائسة أكثر أيام العام يعتادون معها البطالة
والكسل ، فليست هناك عناية بالزراعة أو الصناعة
أو تنظيمات تجارية ، ولا عناية بالاعلام للسياحة
والحج (١) .

ولقد كانت الأمراض والأوبئة تعصف بالسكان
في مواسم الحج بحيث يخرج الحاج من بين أهله
مودعهم وداع الموت، ومع أن البلاد الاسلامية آنذاك
لم تتسرب اليها أضراليل الاتحاد والمبادئ الهدامة
كما هو حاصل اليوم في كثير من مجتمعاتها ، الا أنه
مع ذلك لم تصل احصائية القادمين للحج الى
ما وصلت اليه اليوم .

ولقد شمل الاهمال للحياة الاجتماعية بالحجاز
ضماً الى الحالة الصحية (٢) الحركة التعليمية والأمن

(١) حين دخلت الدولة العثمانية الحرب انهارت الحياة في العجاز ففر
اصحاب الوجاهة بأموالهم ومات أكثر العامة فقراً وجوعاً ومرضاً .
(٢) ففي مكة محل التجميع الكبير للحج مستشفى ايجاد الصغير ويتكون
من أكواخ من ورق النار طويلة مضافاً اليه وحدة القبان (بدار أبى سفيان)
بالمدةى لعلاج الأمراض العقلية وفي جدة مستشفى صغير في الموقع المعروف
اليوم بمستشفى باب شريف وفي بواقي الحواضر وحدات صحية بسيطة
والعلاج في جميعها ضعيف وروتيني .

وغيرهما فلا مؤسسات للمراحل التعليمية متكاملة أو كافية ، ولا استقرار للأمن في داخل المواضر والبوادي ، ولا عناية بوسائل العمران والمواصلات وإيجاد ما يتمتع به عامة الناس في المجتمعات الراقية عادة بل وبعض المجتمعات المتخلفة أيضاً من تنظيم لتلك الحياة وترفيه فيها .

أما وظائف الدولة فهي من خصائص الجنس التركي وجالياته فالحاكم العام (الوالي) ورؤساء الدوائر وجميع موظفي هذه الدوائر وأفراد الشرطة وجنود الحاميات وضباطهم كل أولئك من الأتراك ، كأنما الحجاز مستعمرة تركية ، وظاهر هذا الحصر لوظائف الدولة في الجنس التركي هو الحرمان من أي عمل إداري يتصل بسياساتها ، ومقصود به السيطرة التامة وعدم التأهيل للقيام بشؤون بلادهم سياسياً (١) .

(١) لقد حارب الاسلام العنصرية والتعصب للعشيرة ، وهذه المحاربة من أهم ما يوحى بأن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم كانت للبشر عامة (انما خلقناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم) وقوله صلى الله عليه وسلم : لا فضل لعربي على أعجمي ولا أحمري على أسود الا بالتقوى .

العهد الهاشمي في الحجاز

لقد درجت الدولة العثمانية على أن تعهد بشئون البادية لشريف من الأشراف العرب ولكن تحت نظر وملاحظات وأوامر الوالى التركي ، وقد تولى هذا الأمر سلسلة من العوائل الشريفة ، وجرت بينهم وبين بعضهم تارة وبين الولاة الأتراك تارة أخرى، وقائع ومصادمات .

وكانت آخر عائلة تولت امارة الحجاز وشؤون البادية هي عائلة ذوى عون ، والشريف حسين بن علي هو آخر السلسلة في هذه العائلة ، وقد كان محتجزاً في الاستانة كعضو في مجلس المبعوثان (١) ، وذلك كمرغبة السلطان عبد الحميد خان ولكن الحسين استطاع أن يفلت من قبضة السلطان في بحران حركة تركيا الفتاة ووضع دستور للسلطنة

(١) مجلس المبعوثان هذا يضم أعضاء من كافة البلاد الاسلامية الداخلة تحت السيطرة العثمانية كمستشارين للسلطنة عن احوال بلادهم فى عاصمة الدولة بالاستانة (القسطنطينية) .

العثمانية ، وذلك لأن السلطان كان يتوسم في الحسين الانقضاظ على الخلافة العثمانية باعتباره الوريث الشرعي لها من ناحية أنه العربي ، ومن بيت النبوة ، وعشيرته تتولى السيادة في الحجاز موطن الخلافة الأولى .

ولقد تحققت نبوءة السلطان فما كادت تشتعل نار الحرب العالمية الأولى حتى كان الحسين أول الخارجين والمنادين باستقلال البلاد العربية ، وتقدم لقيادة الأحرار فيها في كل من مصر وسوريا والعراق ولبنان وفلسطين ، أما باقى الأقطار العربية الأخرى فقد كانت دنيها منفصلة عن الأحداث العربية بالاستعمار أو الحروب القبلية ، أو التخلف الحضارى .

وكانت بريطانيا مندوبة الحلفاء في الحرب العالمية قد اتصلت بالحسين وعقدت معه معاهدة لطرد الأتراك من البلاد العربية ، واشترط هو عليها أن تمده بالعتاد والأموال أثناء ذلك ، وأن تكون له امبراطورية حدودها من خليج عدن جنوباً حتى جبال

طوروس شمالاً ، ومن الخليج العربي شرقاً حتى البحر الأحمر غرباً ، وقبلت بريطانيا الشروط بصفة مؤقتة .

وانتهت الحرب وأخرج الحسين الأتراك من الحجاز ومن سوريا ولبنان وفلسطين وانتظر تحقيق حلمه على يد بريطانيا والحلفاء ، وانتهى به الأمر ملكاً على الحجاز فقط ، وأخذ يطالب بتنفيذ شروط المعاهدة ولكن دون جدوى ، وأخيراً ادعى لنفسه الخلافة وجاء هذا الادعاء ، القاضية على مملكته الهاشمية بالحجاز ونقله الى قبرص وبقائه فيها حتى الموت حيث نقل الى الاردن امانة ابنه عبد الله ودفن هناك يرحمه الله .

المجتمع في العهد الهاشمي :

بدأ الحسين في تغيير الأوضاع في الحجاز واصلاحها بداية طيبة ولكنه لم يلبث أن أهمل وترك ، فالحياة الاقتصادية لم تتطور عما كانت عليه في العهد العثماني ، فلا عناية بالزراعة وكل ما فعله انشاء

مدرسة زراعية جرى قفلها بعد أمد قصير ، والصناعة لم تظهر لها مؤسسات خاصة أو عامة ، والتجارة بقيت في مجاريها القديمة ، وزاد عليها ملاحقة أصحابها بالمطالبات النقدية الفجائية لتمويل التزامات الدولة ، كما احتجز معظم موارد موسم الحج للغرض نفسه (١) .

أما عن وسائل الإصلاح الاجتماعي ، فقد اهتم بالتنفيذ البسيط للوقاية الصحية والعلاج ، وكان الأمن داخل الحواضر له أثر عن أيام الدولة العثمانية . وفي الوقت نفسه ينتشر قطاع الطرق في سبل الانتقال من بلد الى بلد لا سيما في طريق الحاج الى المدينة المنورة ، كما أن المواصلات وتعبيد طرقها لم يتغير ما عدا وسائل البريد والتليفون والبرق فقد انتشرت نوعاً ما وبقيت وسائل الاعلام لمواسم الحج والسياحة كما هي (٢) .

(١) كان الحسين يضع ضرائب على دخول الحاج مما أدى الى أن يقل الاستفادة منهم في الخدمات الخاصة والتجارة ، وقيام ضجة اسلامية حوله ساعدت على اجلائه عن العجاء ، والشئ الوحيد الذي أدى فيه واجبه هو امتناعه عن الاعتراف بفلسطين كوطن قومي لاسرائيل .

(٢) سوى جريدة القبلة الرسمية ومجلة الإصلاح في عهد الدولة الأخير .

واستعان الحسين بخريجي مدرسة الخياط ،
ومدارس الفلاح وبقايا موظفي الدولة العثمانية
من الجالية التركية في اشغال الأجهزة الادارية في
دولته الهاشمية ، وهذه هي الحركة الوحيدة التي
استفادت منها البلاد سواء في القسم المدني أو
العسكري ، ولقد افتتح مدرسة لتخريج ضباط
للجيش ، كما كان يستعين في تكوين جنود هذا
الجيش بأبناء البادية العرب ممن يعيشون داخل
المدن أو حولها ، ولكنه كان جيشاً وصفه الشاعر
الزركلي السوري (في قوته وعتاده) عند توديع
الحسين للحجاز بالأبيات الآتية :

صبر العظيم على العظيم	جبار زمزم والحطيم
ان القضاء اذا تسلط	ضاع فيه حجي الحكيم
أعددت أجنادا	وما عودتها صدء القروم
أعددت خمسا سابحات	في السماء بلا رجوم
ودّع قصور أبي نمي	لست فيها بالمقيم

التعليم في العهد الهاشمي :

لقد كان الجهاز الاداري للتعليم ضمن الأجهزة
التي كونها الحسين (يرحمه الله) عند قيام دولته

الهاشمية ، وأول رئيس لهذا الجهاز كان العالم الكبير الشيخ عبد الله الزواوي، وإلى جانبه كمراقب عام الأستاذ كامل القصاب السوري الجنسية (يرحمهما الله) ، وبدأ الجهاز بإعادة فتح المدارس التي كانت على العهد التركي في بناياتها (١) القديمة في كل من مكة والمدينة وجدة والطائف وينبع والوجه ثم جرى نقل مدرسة الخياط من مبناها القديم (٢) بالمسعى إلى قلعة جبل هندی (قعيقعان) وجعلها في مستوى مدرسة ثانوية على غرار المدارس الثانوية الأزهرية ، وسماها المدرسة الراقية ، كما أسس في مقرها القديم مدرسة ابتدائية سميت مدرسة الخياط أيضاً .

(١) كانت للمدارس التركية بنائتان في مكة ، الأولى بمقر المعهد السعودي بأجياد والثانية بمقر مدرسة المعلا سابقاً .

(٢) أقيم في بناية مدرسة الخياط القديمة مدرسة ابتدائية في العهد السعودي كانت تعرف بمدرسة المسعى وأن ظل بعضهم يطلق عليها اسم مدرسة الخياط ثم أزيلت في توسعة المسجد الحرام .

مدرسة للزراعة :

وفي ابّان نهضته (كما كان يسميها) اهتم بفتح مدرسة للهندسة الزراعية والتقط (١) لها من خريجي مدرسة الخياط حفنة ، ولكن المدرسة لم تلبث أن أغلقت وتحول طلبتها الى وظائف الدولة .

المدرسة الحربية :

كذلك اهتم الحسين في ابان نهضته بفتح مدرسة عسكرية لتخريج ضباط للجيش الهاشمي وأول رئيس لها كان (محمود القيسوني) المصري ، وهو قائد البعثة التي أرسلها الانجليز لمساعدة الحسين في اخراج الأتراك من الحجاز ، وبعد انتهاء الحرب ولاء الحسين قيادة الحاميات الحجازية وتكوينها ثم جرى تعيينه وكيلا للحربية ثم وزيراً لها ، وفي أثناء وقعة تربة التي كان القائد العام فيها للجيش المهاجم

(١) كان من طلبتها عمر مهدي أبو شال ، محمد بيارى ، عباس صيرفي ، عمر صيرفي ، محمد سرور الصبان ، هاشم سباك ، محمد بتاوى ، عمر قدسي ، شيخ بابصيل .

لنجد ، عبد الله بن الحسين لحق القيسوني ببلاده
مصر فخلفه المهندس العراقي صبرى باشا ، وانتهى
أمره بهزيمة الطائف وخروج الحسين وعائلته من
الحجاز ، ولقد أدرك التعليم (١) الوهن قبل أن
يتطور ، ولا سيما في العهد الهاشمي الأخير ووصفه
الزركلي في صورته الأخيرة بقوله :

ومدارسنا ما كان ينقص
حسنهن سوى العلوم

وهذا المثل ينطبق تماماً على المدرسة الابتدائية
بالمسعى ، والتي كانت اللبنة الأولى في نهضة
الحسين بالتعليم ، فقد عين لها في أيامها الأخيرة
مديراً سورياً مستهلكاً ، وحوله بعض المدرسين من
الشباب خريجي المدرسة الراقية الأوائل أمثال محمد
بياري (٢) وعباس صيرفي ، وعبد الرحمن خياط ،

-
- (١) انحصر التعليم عموماً في فتح مدارس ابتدائية في الحواضر ثم مدرسة
الراقية .
(٢) تولى محمد بياري في العهد السعودي الأول رئاسة الديوان للنيابة
العامة .

وعبد الكريم حنفى ، يرحمهم الله جميعاً ، وهذا مما جعل المدرسة مع مديرها المستهلك مجالا للتضاحك ، وتبادل النكات ، ومن هذه النكات ما رواه لنا الشيخ عبد الله خوجة (١) أيام اجتماعنا به بمدرسة الصفا التحضيرية حيث قال : كنت أنا ومدير المدرسة السوري نطل على فناء المدرسة ، والباعة متجمعون فيه فلمح المدير قصعة ملأى بحلوى بيضاء مصنوعة من بياض البيض والسكر نسميها نحن لبن الدجاج ، اشارة الى مادة صنعها الأساسية فسألنى المدير (شيخ عبد الله) (شو هاد الذى فى الأروانة) أجبته : لبن الدجاج ، فاستشاط غضباً ورد علي (شو ؟) شيخ عبد الله أنت بتتمسخر عليّ مثلهم ، وكان يثق بى نوعاً ما ، وأخذ يكرر فى عصبية (الدجاج ايلو لبن) وهكذا ذهبت الواقعة اضحوكة يتبادلها مدرسو المدرسة الشبان ، وهذا يدل على المستوى الذى وصلت اليه مدرسة المسعى .

(١) الشيخ عبد الله خوجه هو مدير مدرسة النجاح الليلية ويبلغ من العمر ما يقرب من تسعين سنة وقد كان من أساتذة الفخرية وأنا تلميذ بها صغير .

وبهذه المناسبة أذكر أننى وأخوتى كنا أول
المتحقين بمدرسة الخياط اضافة الى ما قضيناه فى
التعليم بكتاب الشيخ سعد الله الهندى يرحمه الله ،
ثم عدنا اليها حين انتقلت المدرسة الى القلعة باسم
المدرسة الراقية ، وكان وضعى بعد الدراسة
بمدرسة الخياط الأولى الانتقال الى الراقية بقسم
الحفاظ ومدرسنا الشيخ أحمد زهر الليالى يرحمه
الله ، ولكنى لم أستطع المضي فى الحفظ لضعف جسمى
وشدة الشيخ ، وانى لأذكر جملة كان يرسلها الشيخ
كلما توانيت فى الاهتزاز والحفظ : (اقرأ يا صباغ
قراك الحديد) .

وفى أول العام الدراسى طلبت من والدى نقلى الى
فصول الدراسة المتنوعة بعد أن استظهرت ما يقرب
من ستة أجزاء من المصحف الشريف ، وقضيت فى
الدراسة بالمدرسة الراقية مدة عام ثم انقطعنا أنا
وأخوتى بسبب موت عائلنا ، حتى تمكن أخى
عبد الكريم (يرحمه الله) وعمر غفر الله له (١) من

(١) لأنهما قطعنا شوطاً كبيراً بالمدرسة الراقية وقاربنا اخذ شهادتها .

التوظف فقد كان الأول مدرساً بمدرسة الخياط الابتدائية ، والثاني تلميذاً بالمدرسة الحربية ، وكانت عودتي الى المدرسة الابتدائية بطبيعة الحال نظراً لانقطاعي الطويل عن الدراسة .

المدرسة الفخرية :

وبعد مضي عامين بمدرسة المسعى ، انتقلت الى المدرسة الفخرية وهي كما قلت من الكتاتيب الشبيهة بالمدارس النظامية ذات المدرس الواحد سابقاً على العهد العثماني ، وكانت تسمى كتاب عبد الحق (١) ، وحين التحقت بها كانت قد تطورت الى مدرسة تحوى المرحلتين التحضيرية (الأولية) والابتدائية ، وقسماً للحفظ ، وسميت المدرسة الفخرية اشارة الى أن التعليم بها مجاناً (فخرياً) ولقد كان تطورها على يد الشيخ اسحاق القارى

(١) الشيخ عبد الحق (يرحمه الله) أحد الوافدين على مكة من الهند وكان يتقن اللغة العربية وآدابها ، ومقر الكتاب باب ابراهيم في البناية المشرفة على الحرم .

(يرحمه الله) (١) ، فقد أعاد تنسيقها وترتبت الدراسة فيها على ما ذكرت ، وكانت المعونات ترد اليها من الامارات الهندية ، ومملكة حيدر آباد بالهند والحفلات التي تقيمها المدرسة وتدعو اليها أغنياء الحج الهندي ، لكن حينما تحولت الهند الى جمهورية أغلقت المدرسة الفروع وأقسام الصناعة التي أنشئت فيها وعادت الى حالتها الأساسية .

ولقد تخرجت من المدرسة الفخرية بالشهادة الابتدائية ، وهي في ذروة تطورها على عهد الحسين ، ثم تعينت بها مدرساً نصف اليوم ، وطلبت دروساً اضافية للتقوية في التفسير والحديث والفقه وأصوله وتحسين الخط وعلوم اللغة العربية وآدابها في النصف الأخير من النهار (٢) وفي العام الدراسي الثاني ، تعينت مدرساً كاملاً في القسم الابتدائي

(١) الشيخ اسحق ربيب عبد الحق وقد كان مدرساً بالمدرسة الراقية ثم انتقل الى المدرسة الفخرية للاصلاح .

(٢) كان اليوم الدراسي من الصباح الباكر الى صلاة الظهر ثم فترة ساعتين للغداء والعودة بعد صلاة العصر وأحياناً الى غروب الشمس وفي رمضان نصف النهار وفي الحج اجازة نهار كامل .

لتدريس الاملاء والجغرافيا والتاريخ والحساب والهندسة والفقه الشافعي ، وهذا الأداء أفادني كثيراً لأنه اضطرني الى الاستزادة من العلم والثقافة عن طريق الحضور في حلقات التدريس بالمسجد الحرام أو عن طريق القراءة والمطالعة في المراجع ، وأمكنني بذلك أن أمارس الحياة التعليمية في العهد السعودي منتدياً بتحضير البعثات ، ومدرساً بالمعهد السعودي بمكة ، وفي العام التالي لتعييني مدرساً بالمدرسة الفخرية سافرت الى العقبة حيث كان أخى عمر يتولى قيادة مفرزة للمدافع الرشاشة ووكالة مدير شرطة العقبة ، وسفري تم على احدى بواخر الحسين المسماة (رضوى) (١) أثناء اقامتي بالعقبة دخل ابن سعود الطائف ومكة وانتقلنا الى بلدة معان آخر مدن الحجاز على حدود شرق الاردن ، وبعد فترة عدنا الى جدة على الباخرة (الرقمتين)

(١) كانت لدى الحسين ثلاث بواخر «رضوى» أكبرها وهي باخرة هندية للحمل قديمة ، و «الرقمتين» أصغر منها وهي باخرة ركاب لا بأس بها ، و «الطويل» وهي باخرة صغيرة للحمل أيضاً .

من بواخر الحسين الذي وصفها الزركلي بقوله :

وسفائنا مرّ النسيم

يحيلهن الى هسيم

وفي عام ١٣٤٥ هـ التحقت للمرة الثانية مدرساً بالمدرسة الفخرية (١) براتب قدره ثلاثون روبية ، ولقد خطر في ذهني فيما بعد أن الارتباط بالأعمال الخاصة غير مأمون العاقبة لأنه مرهون بعلاقة الموظف بممول العمل ورئيسه لا تضبطه أنظمة تمنع من الفصل عند حدوث خلاف بينهما ، ومن ثم بدأت أبحث عن وسيلة لضمان مستقبل مستقر (٢) .

ولقد حصل ما طرأ على ذهني ، فبعد ثلاث سنوات من توظيفي بالمدرسة الفخرية طلبت من

(١) كنت أنا والشيخ محمد حابس (يرحمه الله) مطلوبين للتعين بالمدرسة الفخرية أنا براتب ٢٠ روبية وهو بثلاثين ولكن امتناعه جعلني أتعين براتبه .

(٢) لقد تهيأ لي أن هذا الضمان في تعلم حرفة فتعلمت حرفة الخياطة لأنها الحرفة النظيفة ذات الرواج آنذاك فتعلمتها وزاولتها ردحا من الزمن ثم تركتها بالعودة الى التعليم في مدارس الحكومة .

رئيسها الشيخ اسحق القارى (يرحمه الله) زيادة مرتبى لعزى على الزواج فأجاب أن وارد المدرسة لا يسمح ، ومن ثم تركت التدريس واشتغلت بالخیاطة عند أحد الخياطین (١) بمبلغ أربع جنيهاً ذهباً عدا مكافآت المواسم (٢) ، وبعد مضي مدة من الزمن في العمل أدركت الفرق بين وظيفة التدريس والعمل للحرفة ، ففي الأولى الى جانب أوقات الفراغ الكثيرة التي تعطى الانسان العمل على تنظيم حياته بحيث يستطيع قضاء لوازم بيته والتمتع بالراحة في اجازاتها يمكنه الخروج للتنزه مع أصدقائه والرحلات ثم اشباع غرائز (حب الاجتماع ، والاستطلاع ، والسيطرة ، والأبوة وغير ذلك) والعمل في الحرف لا سيما للتابع يبدأ من الصباح الباكر الى الليل طيلة أيام الأسبوع والسنة ماعدا سويعات الطعام وأيام الأعياد ، اضافة الى ذلك أن مستوى منزلة العمل لا تبلغ

(١) لأننى كنت مبتدئاً لا يمكن أن أستقل بالعمل وفتح مشغل هكذا اصول الصنعة .

(٢) مواسم الخياطة في الأعياد وموسم الحج حيث يتكاثر الزبائن .

منزلة الشرف التي يكتسبها المدرس في نظر الناس
وتقديراتهم ، وتجبرعت غصص حظي مستسلماً
مفوضاً أمري الى الله حتى أتاني الفرج من عنده .

الالتحاق بمدارس الحكومة السعودية :

ففي لمحة من لمحات هذا الفرج مر الصديق الوفي
الشيخ محمد صادق كردى (١) (يرحمه الله ويشبهه
على ما فعل) ، ورآني في محل الخياط فناداني
وسألني ما الخبر ؟ فقضت عليه القصة فأخبرني
أن ادارة المعارف تحتاج الى موظفين لهم علاقة
بالتدريس لتملأ بهم المدارس المستجدة ووعدني
أنه في اليوم الثاني يمر بي ويقدمني الى مدير
المعارف ، وقد تم ذلك ، وكان مدير المعارف
بالوكالة الشيخ أمين فودة (٢) يرحمه الله عالماً
من علماء المسجد الحرام الكبار استقبلني باللطف
والبشاشة ، ثم أمر باعطائي مذكرة تعيين بمدرسة

(١) لقد كانت معرفتي بالشيخ صادق كردى حين بعثته ادارة المعارف
للاشراف على الاختبار السنوي للمدرسة الفقرية ورؤيته نجاح مواد تدريس
وهو اذ ذاك مدرس بالمعهد ثم انتقل الى التفتيش بادارة المعارف .
(٢) كان المدير الشيخ حافظ وهبة يرحمه الله .

المأحى بالشبيكة ، وحين شخصت إليها قادني
مديرها الشيخ أمين المأحى (يرحمه الله) (١) الى
ممر به ما يقرب من مائة طفل لا يزيد عمر
أكبرهم عن ست سنوات فهالني الأمر وأخذت مذكرة
تعييني وقفلت راجعاً الى الوكيل ووضعت المذكرة
أمامه وأدرت ظهري للخروج ، فناداني وسألني
ما الخبر ؟ فسردت عليه ما رأيت فضحك وأمر
بإعطائي مذكرة الى مدرسة الصفا (دون أي
إجراءات) فتناولتها وذهبت الى هناك وذلك عام
١٣٤٨ هـ (٢) .

مدرسة الصفا التحضيرية (٣) :

وذهبت الى مقر المدرسة الثانية ، وكانت بنايتها
كبيرة ومشرفة على المسجد الحرام من جهة باب علي

(١) كانت مدرسة المأحى خاصة ثم ضمتها المعارف إليها مع بقاء المدير
فيها والمدرسين .

(٢) في هذا العام دخلت بزوجتي الأولى وأنجبت منها بنتين ، وهي كريمة
الأستاذ عبد الرحيم صديق كاتب عدل مكة والمفتش بوزارة المعارف سابقاً .

(٣) كانت هناك ثلاث بنايات كبيرة بناها الشريف عون الرفيق عطية لعل
بو وهو رجل متخلف العقل حصلت له مع الشريف واقعة فاعتقد أنه من
الصالحين لأن هذا مر يوماً وكان الشريف يجلس في شرفته فصاح فيه قم وما
أن قام الشريف حتى سقطت الشرفة ومن ثم جعله معتقده وهذه الرواية
يذكرها العجائز وهي ليست معقولة بتاتا .

فى مجرى المسعى ، وقابلت مديرها (الشيخ مصطفى
يغفور يرحمه الله) ، رجلاً وقوراً متواضعاً مرحاً
لطيف المعشر عاش أكثر من مائة عام وله أولاد
أحدهم تولى إدارة الأمن العام للمملكة على عهد
الملك فيصل يرحمه الله .

ولقد كانت المدرسة حديثة الانشاء (معدة
لتكون نموذجية للدراسة الأولية) وتعيين مديرها
هذا كان لأنه من الأوائل الذين مارسوا التعليم
والادارة على العهد الهاشمي بمدرسة النورى بحارة
الباب ، وهي من الكتاتيب القديمة أصلاً ، ولذا
كان الاقبال على مدرسة الصفا كبيراً لقربها وسمعة
مديرها .

ولقد ضمت المدرسة من أبناء العوائل الشهيرة
بمكة أمثال عبد الله عريف (يرحمه الله) ،
حسن بن عبد الله بن حسن آل الشيخ ، ابراهيم
السويل (يرحمه الله) ، أحمد محمد جمال وأخيه
صالح ، محمود جمال حريرى وأخوته ، أبناء
عبد الله كاظم مدير عام البرق والبريد (يرحمه
الله) رشاد زبيدى ، عبد العزيز الرفاعى ، أولاد

الملائكة ، أولاد الجان ، أولاد البابصيل ، وتضم
من المدرسين المشايخ : أحمد فودة ، محمد عبد المولى
السنارى ، عبد الرحيم جمال حريرى ، حمزة عمر
المدنى ، عبد الله المطلق ، ابراهيم الهويش ،
عبد الوهاب جمال حريرى ، أحمد السباعى ،
محمد عبد الكريم الشبارى ، علي جعفر ، محمد
صالح امام ، وعبد الله خوجة يرحم الله من مات
منهم ، ويفغر للأحياء .

مدرسة جدة الابتدائية :

قضيت بمدرسة الصفا التحضيرية (الأولية)
ما يقرب من سبع سنوات دون تغيير فى وضعى ،
وعلى أثر تولى الشيخ ابراهيم الشورى وكالة
المعارف عرض علي النقل الى مدرسة جدة الابتدائية
فقبلت ، وكان مدير المدرسة الأستاذ عمر محمد
نصيف (١) (يرحمهما الله) ، ومكثت هناك ما يقرب

(١) عمر نصيف يرحمه الله ابن الشيخ محمد نصيف من أعيان جدة
وصاحب المكتبة الشهيرة فيها سابقا كان الحسين ينزل بداره اذا قصد جدة ،
وكذلك الملك عبد العزيز فى أول عهده بالعجاز ، ومرة دخل الحسين المكتبة
فقال وعند الشيخ كتب من أبيه فبادر محمد نصيف بقوله ولكن ما قراها
يشير الحسين الى الكتب السلفية الموجودة فى المكتبة وعلاقتها بالسعوديين .

من عامين ، وفي عطلة الحج ذهبت الى مكة وقابلت
ابراهيم الشورى وذاكرته في أمر نقلى الى مكة
فضحك وقال ليس قبل خمس سنوات ، وطلبى كان
بسبب أن نقل عائلتى الى جدة غير ممكن للحالة التى
كانت عليها جدة سابقاً من قلة المياه وانتشار
الملاريا .

ثم بعد عطلة الحج وكانت السنة الدراسية تبدأ
في المحرم نقل الشورى مديراً للاذاعة (١) ونصب
السيد طاهر الدباغ مديراً عاماً للمعارف خلفاً
للشيخ حافظ وهبة الذى تم تعيينه سفيراً للمملكة
بلندن ، وبحكم الوضع الجديد جرى تغيير كبير في
سير الدراسة فألغيت المرحلة (التحضيرية - الأولية)
ثم جعلت المرحلة الابتدائية ست سنوات بدلا من
أربع سنوات ، واكمال نصاب المدرس من الحصة
أربع وثلاثين حصة ، وبذا حصلت زيادة في المدرسين
بجدة ، فقام المدير باكمال أنصبة مدرسى جدة وهم

(١) الشيخ ابراهيم الشورى من الأوائل الذين استقدمهم حافظ وهبة
من مصر وهو أجودهم علماً وخلقاً ونقل عام ١٣٥٤ هـ وقد استقر بالمملكة
وحصل على الجنسية السعودية وتزوج من نجدية من بيت النفيسى وأنجب منها.

الأساتذة : عبد المجيد متبولي ، محمد أبو الحمايل ،
معتوق باحجري ، محمد عثمان باعثمان ، محمد
بادكوك ، نعمة الله ، وأخلى المدرسين الوافدين من
مكة وهم محمد نور كتبي ، محمد مددين ، عبد الله
فريد حلواني ، ومن ثم جرى نقلنا جميعاً الى مكة ،
وكان نقلي الى المدرسة العزيزية (١) .

المدرسة العزيزية الابتدائية (٢) :

كانت هذه المدرسة في بداية عهد التغير
الجديد ، المدرسة النموذجية التي يراد منها تغذية
مدرسة تحضير البعثات ، ومن ثم كانت عناية
المعارف بها قوية لدرجة أنه لا يمضي يوم دون أن
يقصد اليها المفتشون وأحياناً مدير المعارف
بشخصه ، ولذلك أيضاً حشدت المعارف لها كل
الامكانيات ، وجعلت مديرها الشيخ محمود مرزا
(يرحمه الله) أقوى شخصية بين مديري المدارس
الابتدائية ، كما حشدت لها من المدرسين المجموعة

(١) لقد كان نقلي الى مكة أعجوبة فيينما ينقطع أمني بمقابلتي مع الشورى
بارادة الله يتم نقلي بعد موسم الحج ولم يمض على تلك المقابلة شهران .
(٢) مكان المدرسة فوق بازان الشامية سابقاً .

النشطة ذات الماضى البعيد فى الممارسة أمثال
 الأساتذة : محمود قارى ، عبد الله الساسى ، علي
 جعفر ، أحمد زهر الليالى ، صالح كاشف ، محمد
 بخش ، محمد نور الجماوى ، ابراهيم وهبى
 يرحمهم الله جميعاً ثم الشيخ علي هندى ، الشيخ
 ابراهيم فطاني ، الأستاذ محمد علي شالوا له .

وقد تخرج من هذه المدرسة : زكي يمانى (١) ،
 طلحة شيبى ، حسن فقيها ، شاكِر ضياء ، ابراهيم
 حجي (٢) أبناء الملائكة (سراج وجميل ومحمد
 وحسين وعلي) عبد القادر وأمين سراج (٣) ،
 عبد الله باسلامة (٤) ، أبناء الدباغ (محمد ،
 وهاشم ، وطالب) (٥) ، وأبناء البابصيل (حسن ،
 وسعيد ، وصالح) (٦) وغيرهم كثيرون مما لا أذكره .

(١) وزير البترول والثروة المعدنية اليوم .

(٢) وكيل وزارة المعارف اليوم .

(٣) دكتور فى الأذن والقم والعنجرة .

(٤) عميد كلية الطب بجامعة جدة .

(٥) الأول والثاني طبيبان والثالث صيدلى .

(٦) الأول حسن رئيس محكمة الطائف سابقاً والثالث موظف مصلحة
 التقاعد بوزارة المالية سابقاً ، وسراج ملائكة طبيب جراح بمستشفى جامعة
 الرياض .

تطور التعليم في العهد السعودي

السيد طاهر الدباغ :

عفا الملك عبد العزيز (يرحمه الله) عن الفئة من الرؤساء في حكومة الملك علي بن الحسين ، اذ بعد التسليم وانهاء الحرب تابعت هذه الفئة المسيرة في المطالبة باعادة استقلال الحجاز كسابق عهده ما دامت العائلة الهاشمية التي تضرر منها السعوديون قد رحلت .

ولما صدر العفو عن أفرادها وهم (السيد طاهر الدباغ ، عبد الحميد الخطيب ، عبد الرؤوف الصبان ، محمد صادق) عادوا الى الحجاز فاستقبلهم الملك عبد العزيز (يرحمه الله) بالاكرام والاعزاز ،

ووضعهم في مناصب مناسبة ومشرفة فقد عين السيد
ظاهر الدباغ مديراً عاماً للمعارف خلفاً للشيخ
حافظ وهبة ، وعبد الحميد الخطيب عضواً بمجلس
الشورى ، وعبد الرؤوف صبان رئيساً لبلدية
مكة ، محمد صادق مديراً للأوقاف (وكان التعيين
بالنسبة للدباغ مناسباً جداً نظراً لسبق اشتغاله
بالتدريس والادارة بمدرسة الفلاح بمكة
والتدريس بالمسجد الحرام ، ولا شك أن استقبال
الملك لهم وتعيينهم في مناصب مشرفة كان أعلى
درجات الحلم والحكمة .

تحضير البعثات :

وما أن تولى الدباغ الادارة العامة للمعارف حتى
أخذ ينهض بالحياة التعليمية ، ولقد كانت أعلى
درجات هذا النهوض والتغيير للأوضاع التعليمية
القديمة بالمملكة هو انشاء تحضير البعثات ، وهى
عبارة عن مدرسة ثانوية لها منهاج المدارس الثانوية
الخارجية فى البلاد العربية وغيرها حتى يتمكن

خريجوها من الالتحاق بالكليات الجامعية هناك (١) وقد أحضر لها المدرسون من مصر للعلوم الكونية والرياضة واللغة الانجليزية ، وأمكن ابتعاث أوائل خريجها بعد خمس سنوات (٢) وهكذا توالى البعثات ووفد أول فوج منهم وجرى تعيينهم في وظائف الدولة الهامة .

ولقد تم بعد ذلك انشاء مدارس ثانوية في حواضر المملكة الكبرى وأخذت تغذى الابتعاث واقتضى ذلك ابتعاث خريجي الكليات للاستزادة والحصول على شهادتي (الماجستير والدكتوراه) وهم اليوم منتشرون على نواصى الوظائف الكبرى بالمملكة لا سيما الوزارات الفنية وكلياتها والجامعات ولا يأتى زمن قليل حتى يتم للجامعات الاكتفاء الذاتي من المدرسين العظام بعد أن تكللت

(١) لقد كانت نشأة البعثات في العام التالى لتولى السيد طاهر الدباغ ادارة المعارف عام ١٣٥٤ هـ .

(٢) كانت المرحلة الثانوية في البلاد العربية تتم في خمس سنوات خلافا لما هو حاصل اليوم متوسطة وثانوية بست سنوات .

الكلليات بالعمادات الوطنية (١)

ولا شك أن الدولة حين وجدت الكفاء الذى يستطيع النهوض بالعمل مدت اليه يد العون والمساعدة وفسحت له المجال فيهما ، وعلى كل كانت الهداية والتوفيق من الله سبحانه وتعالى هى الأساس ثم لا ننسى امدادات البترول للدولة .

المدارس الأهلية والابتعاث :

نشأت المدارس الأهلية فى كل من مكة وجدة والمدينة المنورة متابعة لمدرسة الحسين بن علي العربية ، وكانت نشأتها على أنقاض الكتاتيب الشبه النظامية ، فمدرسة الفلاح بمكة تكونت مثلا من كتابي عبد الله حمدوه السنارى والسركتى السنارى ، والمدرسة الفخرية من كتاب عبد الحق ، والصولتية من بعض كتاتيب الشبيكة وحارة

(١) لقد مكث التعليم أحد عشر عاما من بدء تكوين ادارة المعارف حتى تولى السيد طاهر الدباغ يزحف فى المرحلتين الاولى والابتدائية والكتاتيب مما ضيع على الحياة التعليمية الكثير من فرص النهوض والتطور فليغفر الله للذين واكبوه .

الباب ، ومنشئ الفلاح الشيخ (زينل رضا) بمكة
وجدة ، ومنشئ الصولتية الشيخ رحمة الله
الهندي ، فجزاهم الله عن الحجاز خير الجزاء .

ولقد قصرت هذه المدارس المسافة بين الأمية
المطلقة والنهضة التعليمية بالحجاز ، وكانت تأخذ
بالمنهاج الأزهري في التقرير والأداء والتركيز على
علوم الدين واللغة أما علوم الرياضة والاجتماع
فوضع مقرراتها في المنهاج لا ينتفع بها دارسوها
لأنها للدعاية والشهرة .

ولما أتم خريجو تحضير البعثات دراستهم
الثانوية ، وجرى شخوصهم الى الكليات والجامعات
الخارجية ، حاول خريجو المدارس الأهلية الاشتراك
في الابتعاث فطلب منهم الدخول في امتحان الشهادة
الثانوية الخاصة بالبعثات حتى يتيسر لهم ذلك ، فما
استطاعوا لنقص مقررات مدارسهم من جهة
لا سيما في اللغة الأجنبية ، وبعضهم في الرياضة
والعلوم الاجتماعية، ومن ثم التحق بعضهم بتحضير

البعثات (١) كما اضطرت مدارسهم الى تغيير مناهجها بما يواكب منهج تحضير البعثات وبذلك تم ابتعاث الخريجين منها بعد ذلك .

انقطاعي عن التعليم :

كانت مهمة التعليم بالنسبة لى ارثاً عن والدى طالب العلم والمدرس بالمسجد الحرام (٢) (يرحمه الله ويشيبه خير الثواب) ومن ثم اختلط (٣) حبها بلحمى ودمى ، الا أننى اضطرت فى فترة من الزمان الى التخلّى عنها ومغادرة رحابها المشرفة ، وذلك حين خلت ادارة مدرسة المعلّ الابتدائية (السعودية) وكنت الوحيد المرشح لها قدماً وكفاية، وباعتراف مدير المعارف لى ، لكن تدخلت الأيدى العابثة فى الأمر ، ولم يستطع مدير المعارف أثناء

(١) جرى استقدام مدرسين للمدارس الاهلية للعلوم الكونية والرياضية والعلوم الاجتماعية على نفقة ادارة المعارف فيما بعد .

(٢) والذى هو أبو بكر بن عبد الرحمن الصباغ طلب العلم بالمسجد الحرام حتى حصل على اجازة التدريس فيه .

(٣) لقد أورثت عيالى هذه المهنة أيضاً ، فابنى الدكتور جعفر صباغ يعمل وكيلا لفرع جامعة الملك عبد العزيز بمكة ، وأخته الكبرى معيدة بكلية الطب والوسطى مديرة مدرسة ثانوية والصغرى موظفة بمكتبة الجامعة .

المناقشة لوضع قرار التعيين ، المجابهة فتم الأمر لأحد زملائي ، وأمام هذا الغبن لم يكن أمامي سوى الاستقالة ، والالتحاق بوظيفة كاتب بمحاسبة بمصلحة البريد والبرق والتليفون العامة بمكة ، ومكثت بها ما يقرب من عامين ثم تحولت الى المعارف مرة أخرى .

السفر الى تهامة عسير :

لم تنعم نفسي بالراحة في وظيفة محاسبة البريد العامة ، لأن قضائي زمنياً ليس باليسير في مهنة التعليم ملاً وعيى الباطن بالحنين اليها ، مع أن حركتي في وظيفة البريد كانت بسيطة ومسئولياتها خفيفة ، ومن ثم جاءت ملاحقة الأستاذ صادق كردى (يرحمه الله) لاعادتي للتعليم .

فقد قابلنى وعرض عليّ التعيين مديراً لمدرسة أبى عريش في تهامة عسير ، ورغم معرفتى أن هذا التعيين ليس فيه ما يبعث على الرضا والغبطة الا أنى قبلته كوسيلة للعودة ، وتنفيذاً لما حرمت منه في الماضى ، والرجاء فى أن الحاقى باحدى الوظائف

الادارية بمكة يتحقق لى بعد جولة بسيطة وزمن قريب ، وقد كان ما توسمته ، اذ لم أخلص من عسير فى أقل من عام حتى لاحقنى التعيين مديراً فى كل من ينبع والطائف ، ومختلف المدارس بمكة ، وتم سفرى الى تهامة عام ١٣٥٩ هـ وقبل سفرى ولد ابنى جعفر وفى السفر الى تهامة عسير وجبالها رافقنى نخبة من أهالى مكة أذكر منهم : (عمر رفيع ، السيد أسعد جمال مالكى ، ابراهيم ريس ، عيسى دهان البرماوى ، صالح قماش (١) رحم الله الأموات منهم وغفر للأحياء ، وفى وظيفتى بتهامة عسير مديراً لمدرسة أبى عريش لم ألبث سوى عشرة أشهر وغادرت البلد قبل بدء العطلة الصيفية الى الطائف عن طريق أبها ، وفى أبها نزلت ضيفاً على مدير شرطتها الأستاذ محمد صالح باخطمه (يرحمه الله) فأكرمنى ، وأحضر لى أمراً باركابى فى سيارة البريد (٢) .

(١) تعين عمر رفيع فى قرية رجال الماع بالجبال ، و ابراهيم ريس بالقنفذة لقد كان سفرنا فى شهر ذي القعدة عام ١٣٥٩ هـ الى عسير .
(٢) كانت سيارة البريد الوحيدة فى نقل الركاب بأمر من السلطة فى البلد.

وقد عتب عليّ مدير المعارف في مغادرتي قبل العطلة ، فأخبرته بمرضى ورأى آثار ذلك على وجهى فعذرني ، ومن ثم قرر اعادتي الى مكة لكن لعدم وجود ادارة شاغرة في مدارسها فقد عرض عليّ النقل مدرساً بالمدرسة العزيزية فوافقت ، وقد تبديلت هيئة تلك المدرسة ، فقد حل محل مديرها الشيخ محمود مرزا (يرحمه الله) السيد علوى شطا (يرحمه الله) كما تعين فيها من المدرسين : السيد زينى كتبي ، محمد ساعاتى ، أسعد مالكى ، طاهر كردى ، عبد الله مرداد ، ثم الشيخ علي يمانى ، الشيخ عبد الله الخليفى مدرسا للدين ، يرحم الله من مات منهم ويغفر للأحياء .

الحياة فى تهامة عسير :

تختلف الحياة فى تهامة عسير من الناحيتين الطبيعية والاجتماعية ، ففي تهامة تمتد الأرض على طول ساحل البحر الأحمر ابتداء من الرأس

الأسود في البرك (١) حتى مشارف الحديدة باليمن ،
ومعظم أرضها رملية ، وتتفاوت المسافة بين البحر
والجبال تفاوتاً كبيراً ، ففي بعض الأماكن كالبرك
مثلاً يتصل الجبل بالبحر وفي البعض الآخر ينفصل
الجبل عن البحر الى مسافة ثلاث مراحل (وفي هذه
الأماكن يصف السكان البعد دائماً بما بين البحر
والجبل (٢) ، والجو هناك شديد الحرارة في الصيف
وقرب الساحل بسبب زيادة الرطوبة فمثلاً في
جيزان وهي قاعدة المنطقة وتشرف على البحر ، قد
تبلغ درجة الحرارة مبلغاً تتسلخ معه جلود الغرباء ،
وقد يتوقف الهواء وتشتد الرطوبة حتى لا يستطيع
الانسان النوم أو وضع أى لباس على جسده مهما
كان رقيقاً وشفافاً . هذا ما رواه لى (عمر أمصيلي)
معتمد المعارف آنذاك ، خصوصاً وان وسائل التهوية
كانت معدومة ، والذي سمعته أن الحياة تطورت
هناك فلم يعد يعاني السكان من هذه الحالة .

(١) تمتد الجبال في البرك الى داخل البحر وتكون ما يسمى بالراس الأسود .

(٢) فيقول المتحدث من البحر للجبل عندما يصف طول مسافة سفره .

ثم مشكلة المياه فهي مألوفة في أغلب الآبار ،
وتحوى كثيراً من أنواع الجراثيم بحيث تنتشر في
الشتاء أنواع الحميات والأمراض ، أما العادات
والتقاليد الاجتماعية فهي صورة من العادات
والتقاليد في اليمن ، كما أن العادات والتقاليد في
عسير السراة (الجبال) صورة لما هو حاصل في غامد
وزهران وبنى شهر ، إضافة الى اللهجات وطريقة
التكلم .

الزراعة في تهامة :

تعتمد الزراعة في تهامة على الرياح الموسمية
الآتية من الجنوب قبل المحيط الهندي وخليج عدن ،
ففى أول الصيف تهطل الأمطار غزيرة على الجبال
المشرفة على البحر الأحمر ، وتتدفق السيول غزيرة
فتروى مزارع الوديان ، وهكذا حتى يفيض
الباقى الى البحر ، وفى شهر يونيو من كل عام
يجتاح الساحل الرياح الموسمية فتثير الرمال لدرجة
يسود معها الجو في بعض السنين (١) ويتم بعد موسم

(١) كلما اسود الجو تباثر السكان بعصاة جيد .

الأمطار الغزيرة زراعة الأراضي وانتاج حصاد خمس دورات زراعية (١) وقبل هطول الأمطار يبدأ الزراع في تنظيف المزارع من النباتات الشيطانية، وتستمر الغبرة والرياح الموسمية مدة أربعين يوماً، وهبوبها يكون من أول المدة، وأول الأسبوع، وأول النهار خفيفاً، ثم يشتد الى الليل ثم تهبط، وفي أثناء هبوب الرياح تسكن حركة القوم عن العمل يلزمون المنازل، ولا طعام ولا شراب الى الليل، وفي الليل يقومون بترتيب جميع لوازمهم وطعامهم، وما يزيد من طعام يحفظونه في عدة أوعية متداخلة ومع ذلك لا يسلم من وجود آثار الأتربة فيه، وفي كل قرية تطوف دورية قبل هبوب الرياح تتحسس آثار النيران في كل بيت، فاذا وجدت صب عليها الماء لاطفائها (٢)، وفي هذه المواسم الزراعية يبلغ الحصاد مبلغاً تكون زكاته نصف مليون صاع (الصاع

(١) للدورات الزراعية لدى السكان أسماء حسب قوة انتاجها هي شب الشب والجينة والخلصة .

(٢) ان شرارة واحدة تثيرها رياح الغبرة تكفي بنيرانها لآبادة جميع أكواخ القرية المكونة من الأخشاب والقش ولا سبيل لاطفائها، وقد تكررت أمثال هذه الواقعة خصوصاً مع انعدام الوسائل الحديثة للاطفاء آنذاك .

يوازي أربع كيلو غرام) ، هذا عدا ما تجري
المغالطات فيه بطبيعة الحال والنفس الانسانية .

مدرسة ينبع البحر :

وفي أثناء قيامي بالعمل مدرساً بالمدرسة العزيزية
بمكة ولم يمض علىّ سوى أربعة أشهر عرضت على
ادارة المعارف ادارة مدرسة ينبع البحر ومدارس
ينبع النخل ، ومدرسة ينبع البحر هذه من المدارس
التي تأسست على العهد العثماني ، ثم أعيد فتحها
في العهد الهاشمي ثم العهد السعودي ، وكان
شخصي اليها عام ١٣٦١ هـ ، والصورة التي كانت
عليها المدرسة حين وصولي اليها ؛ فصولها خالية
تقريباً ومرحلتها الابتدائية غير كاملة بل تنتهي
بالسنة الخامسة ، وطلبة هذه السنة لا يزيد عددهم
عن العشرة ، وبدأت العمل وأول ما فعلت أعدت
المسرحين من خريجي طلبة السنة الخامسة وكونت
منهم السنة السادسة ، وتحملت ما يقرب من نصف
نصاب المدرس مع عملي كمدير .

وقد نجحت العملية فقد استطاع هؤلاء الطلبة النجاح في الشهادة ، وأمكن الحاق فئة منهم بتحضير البعثات ثم بالجامعات فيما بعد ومن هذه النخبة الأستاذ سعد عبد الواحد ، مدير تعليم الطائف ، ووجدى طحلاوى كان ضابطاً في الجيش السعودي ، وعبد العزيز طحلاوى كذلك وعودة أبو سليمان عميد في الجيش ، وحسن شاذلى . أما المدرسون فهم الأساتذة : صالح بابصيل ، محسن زارع ، علي البدري ، أحمد بصيل (يرحمه الله) نور الدين فلمبان ، محمد زاهد الدغستاني (١) .

ينبع الطبيعية :

تقع مدينة ينبع البحر في طرف اللسان الممتد من البحر في الجانب الشرقى ، وعلى حافة المنطقة المعتدلة الشمالية ، وهذا الوضع يكسبها عدة ميزات أهمها - البعد عن العواصف البحرية العاتية

(١) الأساتذة صالح بابصيل، نور الدين فلمبان كانا مساعدين لى والأستاذ محمد دغستاني أحد أبناء القوقاز وقد اشتهر بمقاومة الشيوعية الروسية هناك وهو من العلماء وقد كان قاضياً ببلدة العلا شمال الحجاز .

ثانياً - يظل جوها معتدلاً طيلة العام ، ثالثاً - موقعها وسط المسافة بين شمال الحجاز وجنوبه تقريباً ، رابعاً - ميناء هام للمدينة المنورة مما يجعل المسافة قصيرة للحجاج القادمين من مصر وسوريا ولبنان والمغرب وأوروبا حين شخوصهم للحج والبدء بزيارة المسجد النبوي ، ومن هذا يتحقق جعل هذا الثغر الحجازي من أجود المصايف المعروفة في البلاد العربية لو أمكن عمل ما تتمتع به تلك المصايف من لوازم السياحة ، ويزيد من صلاحيتها للسياحة والتصنيف وجود مزارع ينبع النخل بواد قريباً منها لو أنشئت فيها أماكن اللهو البريء كالمنتزهات والكازينوهات وغيرها ل زاد ذلك من صلاحيتها .

مدرسة الطائف الابتدائية :

بعد مضي ما يقرب من ثلاثة أعوام في ادارة مدرسة ينبع ، طلبت نقلى الى مكة بسبب مرض عائلتى هناك فأخبرنى مدير المعارف بأن فى الميزانية لعام (٦٢/٦٣ هـ) وظائف ادارية منها ادارة

المدرسة السعودية بمكة قد تقرر نقلك لها ، ومضت العطلة الصيفية وكانت مدتها ثلاثة أشهر تبدأ من فصل السرطان حتى أول الميزان في المدن الشديدة الحرارة كمكة وجدة وغيرها ، وبانتهاء رمضان تنتهى العطلة ، وقد تبين فيما بعد أن الميزانية لا تظهر خلال أشهر العطلة ولمنع عودتى الى ينبع تقرر انتدابى للتدريس بتحضير البعثات ريثما تظهر الميزانية ، وقضيت مدرساً بالبعثات والمعهد ما يقرب من ثلاثة أشهر أسندت الي فيها مواد (الحساب ، القواعد ، التاريخ ، المطالعة) وكان يديرها السيد أحمد العربى يعاونه الأستاذ محمود قارى ، وحصل خلاف بينى وبين الادارة على اشغال حصص الفراغ الخاصة بالمدرسين المصريين ، وكان أكثر فراغ الحصص فى موادهم الدراسية واشغال حصصهم يجعلنا نحن المدرسين السعوديين فى موقف حرج فلا نستطيع مذاكرة الطلبة فى مواد حصصهم ولا الاجابة على الأسئلة التى ترد منهم فى تلك المواد ولا سيما طلبة السنوات المتقدمة ، وهذا الوضع

يستوجب الاشكال بيننا وبينهم ، فذاكرت الادارة
وقلت الأحرى أن يشغل المدرسون المصريون فراغ
اخوانهم فامتنعت عن الأخذ بقولي ، ومن ثم طلبت
اعادتي الى وظيفتي في مدرسة ينبع البحر ، وبينما
الأمور تجرى في أعنتها (يغير الله من حال الى حال) ،
ففى أثناء ذلك توفى مدير مدرسة الطائف الأستاذ
محمد بخش (يرحمه الله) فقرر مدير المعارف
نقل الى ادارة مدرسة الطائف وذلك فى المحرم سنة
١٣٦٤هـ ، ومدرسة الطائف هذه كانت الابتدائية
الوحيدة وبنائها قديمة من العهد العثماني بوصفها
مدرسة (رشدية) ، ورافقنى فى شخوصى الى الطائف
معيناً للتدريس الأستاذ حسن ألطف، والأستاذ جميل
شقدار (يرحمه الله) . كما كان بالمدرسة المشايخ
حسن صيرفى (يرحمه الله) وحسن منصورى ،
وسعيد كمال ، وعدنان كتيبى وعبد الله صحرا .

وفى هذه السنة بدأ فتح أول فصل لمدرسة
ثانوية بالطائف ضمن بناية المدرسة الابتدائية
وأحضر لها مدرس مصرى ، وهذا ضمن التغير فى

الوضع التعليمى الذى قام به السيد / طاهر الدباغ
بانشاء مدارس ثانوية الى جانب كل مدرسة ابتدائية
على غرار تحضير البعثات لتغذية الدراسات الجامعية ،
وقد كملت هذه المدرسة وتخرج منها من التحقوا
بالجامعات منهم (بكر عبد الله بكر) مدير جامعة
المعادن والبتروول (١) .

الشيخ محمد بن مانع :

لقد كان الشيخ محمد بن مانع (يرحمه الله)
طبيب السريرة ، لطيف المعشر ، نشأته دينية خالصة ،
قضى معظم حياته قاضياً فى قطر ، فلم تكن له
ممارسة فى الشؤون الادارية العامة ، ولذلك ظن الناس
أن تعيينه مقصود به العودة بالتعليم للنهج القديم ،
ولكن أظهر (رحمه الله) تجاوباً للتطور ، فأخذت
المسيرة طريقها الى المضي فى الابتعاث ، وازدادت
الحركة التعليمية المدرسية فى عهده ، ومن ذلك

(١) كانت هذه المدرسة تمتلئ بالمصطافين من مكة وجدة وغيرها ومن طلبتها
على ما اذكر الشيخ كامل سندی واخوه والمهندس عبد القادر كوشك واخوه
يعنى ، وابناء الكمال ، وابناء البودواهى ، والفطيس ، وابناء عبد العزيز
العنقرى وغيرهم .

ملاحقة الشيخ للميزانية التي تقدم بها السيد طاهر حتى تم التصديق عليها .

المدرسة السعودية :

وبالتصديق على الميزانية تم تعييني مديراً للمدرسة السعودية ، منتدباً لإدارة المدرسة السعودية فقد تصادف أن طلب سمو الأمير عبد الله الفيصل من المعارف اختيار مدرس خاص لأبنائه فعينت المعارف السيد سعيد الدباغ مدير المدرسة السعودية بالمعلا له وانتدبني خلفاً له مؤقتاً .

المدرسة السعودية بمكة :

لقد أنشئت هذه المدرسة وتم إقامة بنائها في العهد العثماني لتكون مدرسة أولية ثم جاء العهد الهاشمي فأعاد فتحها ابتدائية وكذلك في العهد السعودي ، وكان مديرها في العهد الهاشمي الشيخ حسين عبد الغني (يرحمه الله) وبقي كذلك الى بداية العهد السعودي ، ثم تم نقله قاضياً للمحكمة المستعجلة لمكة ، وظل فيها الى أن توفي وخلفه على إدارة المدرسة الأستاذ حسن حسنين (يرحمه الله) ،

وهو والد حسنين صاحب أول صيدلية خاصة وجدت
بمكة مقرها المسعى ، وكان يقوم بالتطبيب الى
جانب صيدليته (يرحمه الله) وبقيت صيدليته الى
العهد السعودى بممارسة أحد أبنائه ولما توفى
أغلقت ، ولقد نقلت الى هذه المدرسة مدرساً فى
عهد حسن حسنين، وقد رافقنى وأنا مدير للمدرسة
منتدباً المشايخ (سعيد خفاجى ، أحمد الميسوى ،
أحمد جعفر (يرحمهم الله) ثم طاهر كردى الخطاط،
وسراج عبد الله ، يحيى العظمة ، حامد مير ،
والشريف طاهر المغربى ، ونور الدين فلمبان ،
ووجد فيها من الطلبة على ما أذكر : أبناء القدهى،
أبناء بن ظافر (سلطان ، ظافر ، سعد ، غازى ،
حامد ومحمد ، خالد) وأبناء بن خثلان وأبناء
الحراشى والصنيع ، وبن عمر ، والخبرى وبعض
أبناء السميرى .

ادارة المدرسة العزيزية :

ذكرت فيما سبق أنى عملت بالمدرسة العزيزية
التي تعلق بنايتها بازان الشامية آنذاك مرتين الأولى

مع الصفوة الممتازة من المدرسين بوصفها مدرسة نموذجية تقوم بتغذية تحضير البعثات لغرض اعداد نخبة من الطلبة خريجي الابتدائية اعداداً جيداً . ولقد تحقق للمعارف آنذاك ما سعت اليه فمن طلبة هذه المدرسة الملتحقين بالبعثات ثم الجامعات من يشغل المناصب الكبيرة اليوم في الدولة .

أما الفترة الثانية التي عملت فيها بالمدرسة العزيزية المذكورة (١) فبعد عودتي من أبي عريش وبعد وفاة السيد علوى شطا (يرحمه الله) نقلت مديراً للمدرسة العزيزية ، وبعد مضي عامين تم نقلى الى المعهد العلمى السعودى ، وانتداب المفتش الشيخ صالح خزامى لادارة المدرسة منعاً لتأثر سير الدراسة بتلك الخلافات .

(١) وكان مديرها السيد علوى شطا (يرحمه الله) ثم لم البث بعد أربعة أشهر أن نقلت الى ادارة مدرسة ينبع البحر ثم الطائف ثم منتدباً لادارة المدرسة السعودية بمكة .

المعهد العلمى السعودى بمكة :

المعهد العلمى السعودى ، تسمية لمدرستين ثانويتين احدهما بمكة والاخرى بالمدينة المنورة ، والغرض من تأسيسهما (وهما أول مدرستين ثانويتين أسستا بالحجاز على العهد السعودى) تخريج مدرسين مؤهلين للتدريس بمدارس المرحلة الابتدائية ، والدراسة فيهما الى جانب التركيز على علوم الدين واللغة العربية هى دراسة علم النفس ، وعلم التربية ، وطرق التدريس ، واللغة الانجليزية ، ولقد جرى تحويل هذا المنهاج حين جمع المعهد وتحضير البعثات في بناية القلعة بإدارة الأستاذ عبد الله عبد الجبار خريج كلية دار العلوم بمصر للمعهد الى جانب ادارة السيد أحمد العربى خريج كلية دار العلوم بمصر لتحضير البعثات ، ثم فصل المعهد بالغاء تسمية تحضير البعثات بعد أن تم انشاء مدرسة ثانوية سميت بالعزيزية ، وتولى ادارة المعهد الأستاذ محمد حلمى الخطاط ولم يمض على نقل مدرساً فيه سوى عامين وجاءت ترقيتى فيه مساعداً للمدير ، وبعد

مضي عامين على انشاء وزارة المعارف نقلت مفتشاً
ادارياً للوزارة عام ١٣٧٢ هـ .

ولقد ضم المعهد آنذاك نخبة كبيرة من المدرسين
المصريين (جامعيين - وأزهريين) ومن السعوديين
ضم الأساتذة : عبد الله بوقس (١) وعبد الله أحرار
خوجه ، محمد بناني ، محمد نور الجماوي ، حسن
زمزمي ، عبد الغني زمزمي ، ثم الشيخ ابراهيم
فطاني والأستاذ سعيد بوقري يرحم الله الأموات
ويغفر للأحياء ، ومن الطلبة الدكتور عبد الوهاب
أبو سليمان ، والدكتور عبد الحميد أبو سليمان ،
والدكتور أحمد شكرى ، محمد حنيف كفيه وغيرهم
كثيرون (٢) .

سمو الأمير فهد بن عبد العزيز وزيراً للمعارف :

ضاق نطاق العمل التعليمي بالجهاز الادارى
الأول كغيره من الأجهزة الادارية للدولة ، بعد أن
اتسعت الحياة بالملكة العربية السعودية اقتصادياً

(١) الأستاذ عبد الله بوقس وكيل وزارة الاوقاف اليوم .
(٢) لقد جرى نقل الى المعهد منتدياً في أول الامر الى أن جرى تعييني
مساعداً للمدير ومرتبة مدرس بالمعهد توازى وظيفة مدير مدرسة ابتدائية
راتباً ورتبة وهذا جاء لتدريس بالبعثات والمعهد .

واجتماعياً ، وأضحت الحياة التعليمية تحتاج الى
صلاحيات مباشرة لا سيما وان وافدى الجامعات
أخذوا يتزايدون فجرى انشاء وزارة للمعارف
بدلاً من ادارة عامة وذلك عام ١٣٧٣ هـ -
١٩٥٤ م .

ولكي تتم مباشرة الصلاحيات بعيداً عن الروتين
السابق ، فيتولى الوزير مهام الحركة التعليمية فوراً
توجت بداية الوزارة برئاسة صاحب السمو الملكي
الأمير فهد بن عبد العزيز زيادة لمظهر الاهتمام
بالعلم والتعليم من الدولة ، ولقد خطت الوزارة في
عهده خطوات موفقة كان من آثارها وضع أول نواة
للتعليم الجامعى بالرياض وكان ممن تولى ادارة
الجامعة الدكتور عبد العزيز الخويطر (١) .

وتعين الشيخ عبد العزيز عبد الله بن حسن
آل الشيخ وكيلاً للوزارة ، والأستاذ ابراهيم

(١) تولى الدكتور عبد العزيز الخويطر بعد نقله من ادارة جامعة الرياض
وزارة الصحة ثم وزارة المعارف أخيراً وقد اشتهر الدكتور بالصلابة والحزم
وحب النظام والنزاهة مع تواضع ولطف في المعشر .

العنقري مديراً للمكتب العام والأستاذ عبد العزيز السالم مديراً لمكتب الوزير (١) ، وفي مجال التغير الشامل للجهاز الإداري للتعليم جرى نقل مفتشاً إدارياً بوزارة المعارف ، في بدء السنة الدراسية التالية لتكوين الوزارة ، حيث تم تكييف الأوضاع حسب ممارسة العام المنصرم .

وانتقلت الوزارة إلى الرياض أسوة بباقي الوزارات ، وقد زاملني في وظيفتي الجديدة من الأساتذة : محمد صالح خزامي ، عبد الرحيم عبد الله صديق ، محمد بناني ، عبد الغني زمزمي (يرحمهما الله) عبد الله بوقس ، جميل أبو سليمان .

الشيخ حسن آل الشيخ وزيراً للمعارف :

لقد نشأ الشيخ حسن بن عبد الله بن حسن آل الشيخ في بيت علم ودين وصلاح ، ولذلك كان

(١) كان الأستاذ عبد العزيز السالم بعد تخرجه مدرساً بالمدرسة الرحمانية ثم انتقل إلى الوزارة ثم إلى وزارة الداخلية بمكتب الوزير وهو اليوم مدير مكتب الأمن القومي بالداخلية .

تعيينه وزيراً للمعارف مناسباً للروح التي تتكامل بها شخصيته . كما ان هذا التعيين يستطيع به أن يجول في منصبه بادراك وفهم ، وهو اليوم يسعى لأن يجعل التعليم العالى (وهو وزيره) يضاهى أرقى ما تتحلى به الجامعات الخارجية من تقدم وتطور ادارياً وفنياً وتشكيلاً ، والسماة التي تتراءى فيه كما يذكرها الذاكرون ؛ أنه لطيف المعشر متواضع موفق للخير ، مجد في عمله لا يفرق في تركيز هذا العمل وصلاحة بين قريب أو بعيد من أفراد عشيرته أو من غيرهم ، وكل ما يعنيه في هذا التعيين والتركيز (القدرة العلمية ، والملكة الادارية ، والخلق الاسلامى المستقيم) وهذا ما يطابق معنى الحديث الشريف : (من ولى أمراً من أمور المسلمين رجلاً وفيهم من هو أحق (١) منه فقد خان الله ورسوله) .

(١) والاحقية كما قلت القدرة العلمية ، والملكة الادارية ، الخلق الاسلامى المستقيم ، أما تخصيص الأقرباء أو أفراد العشيرة دون نظر الى ذلك فهو الخيانة بعينها .

التفتيش ومتاعبه

توطئة :

ذكرت فيما سبق أنه في أول العام الدراسي التالي لقيام الوزارة عام ١٣٧٣ هـ وضمن تغيير الأوضاع في الجهاز الإداري السابق نقلت الى هيئة التفتيش بالوزارة (١) ، ولقد تملكنتي الفرحة بهذا النقل بادئ ذي بدء بزعم أني تقدمت خطوة الى الأمام راتباً ورتبة لكني ما كدت أباشر العمل في دورات تفتيشية حتى غاضت تلك الفرحة ، وتمنيت لو أنني أخذت في وظيفتي السابقة (معاوناً لمدير المعهد العلمي السعودي) بمكة لما في هذه الوظيفة من استقرار وبعد عن المتاعب ، ولقد كان ذلك أحد سببين عجلا بمبادرتي لطلب التقاعد قبل الأوان بعشر سنوات من الاستحقاق (٢) .

-
- (١) المفتشون الأوائل هم الاساتذة : السيد محمد شطا ، السيد ابراهيم نوري (يرحمه الله) ، السيد اسحق عزوز ، صادق كردى (يرحمه الله) ، السيد محسن باروم ، حمزة عابد ، حسن غسان .
- (٢) أما السبب الثانى لتعجيل طلب التقاعد هو عزمى على مصاحبة ابني (جعفر) الى مصر للإشراف على سلوكه وسير دراسته .

الدورة التفتيشية الأولى بمدرسة دخنة بالرياض :

دلفت الى داخل المدرسة فتبين لى فى مواجهة مديرها أنه متحمل من المعارف بسبب الخلاف على مشروعات للمدرسة فأخذت ألاحظه حتى انقضت غيوم تحامله وظهر ذلك حين حضورى فى اليوم التالى اذ قام باكرامى والمرور معى على الفصول يقدمنى لها أحسن تقديم ، وفى مقابل ذلك لم أذكر أى شىء عما قصه علي .

الدورة التفتيشية الثانية بمنطقة المدينة المنورة :

فى هذه الدورة كان الشتاء قد حل وهو فى هذه المنطقة من شمال الحجاز شديد البرودة لدرجة تسقط معها الثلوج فى بعض الأماكن ، وبما أنى نحيف الجسم فقد كان تأثرى بالبرودة تأثراً شديداً رغم كل احتياطى فى الملابس ، ففى الحناكية شمال المدينة وصلنا بالليل وكان الجليد يتساقط وما أن خرجت من غمارة السيارة الدافئة حتى أخذت أرتعد كالسعة ، ودلفت أجرى الى المقهى لمضيفنا قاضى

البلدة جزاه الله خيراً ، ورغم تصاعد الدخان ، الى عيني وتساقط الدموع الا أنى لم أترشح حتى نمت ولقد زرت فى هذه الدورة مدارس المدينة (المدرسة الثانوية، والمعهد العلمى، والمدارس الابتدائية)(١) ثم يمتت المدارس خارجها (مدرسة عروة ، الصفرا ، الحمرا ، ينبع ، مهد الذهب ، الحناكية ، السبيل على حدود الجوف) وكان المفروض الذهاب الى تبوك وغيرها لكنى تركت هروباً من البرد ، ومن لطف الله بى أن صاحببنى فى دورتى هذه مفتش الدين المركزى الشيخ عبد الله الخربوش جزاه الله عنى أفضل الجزاء فكان نعم الرفيق .

الدورة التفتيشية الثالثة بمنطقة حائل :

كانت هذه الدورة فى مطلع شهر رمضان وقد حل الربيع ، والربيع فى منطقة حائل شئ يفوق

(١) مدير الثانوية بالمدينة أحمد بشناق ومدير المعهد الاستاذ محمد عبد الكريم السنارى .

حد الوصف الأرض مزدانة بألوان الزهور الطبيعية
النبت وشذاها يعطر النسيم العليل ويجعل كل
أمسية نمر فيها بالسيارة أنا ورفيقي الشيخ محمد
البناني (يرحمه الله) نعيش فيها في أحلام الشعراء
الأوائل حين يتغنون بجبلي (أجا وسلمى) .

ركبنا الطائرة الداكوتا حمولة (٢٦) راكباً ،
وأخذ الهواء يحاورها ويداورها وقلوبنا تعملو
وتهبط من أثناء ذلك ثم تهبط الى الأرض لتسليم
البريد في كل من عنيزة وبريدة والمجمعة ، ولم تكن
المطارات آنذاك مجهزة كما هي اليوم بل عبارة عن
ميدان كبير مترب في أحد جوانبه قاعة من الطين
النيء يجلس فيها مدير المطار وركاب الطائرة
للانتظار وفي داخل الطائرة يجلس الركاب والى
جانب كل منهم مزودته لأن أكثر الركاب أمتعتهم في
مزاود الركاب كمعهدهم يوم أن كان الجمل واسطة
الرحيل ، ولقد تبينت في سكان حائل سلوكاً حضارياً
أصيلاً رغم مظاهر البداوة عندهم كيف لا وحائل
من المدن العريقة في التاريخ .

السيرة السابقة للتعليم في النواحي الخاصة

المقررات والمناهج :

كانت المقررات تنحى نحو التأكيد في المادة الواحدة من العلوم في كل مرحلة من المراحل الدراسية محاولة من واضعيها استيعاب أكبر قدر من الثقافة لكل دارس ، كما أن تعدد المواد في المنهاج الواحد يتقاطر على جدول الدراسة وحصص الزمن بحيث يستوعب ذلك كل ساعات النهار من غلسه الى شفقته ، ولا مجال لمواد ترفيه أو نشاط جرياً وراء المادة وما تحويه من متون وشروح .

والتحضير لأسئلة الاختبارات لكل مرحلة يجب أن يستوعب كل التقريرات والقواعد للمادة الواحدة ، وهذه الوضعية تجعل النجاح الحقيقي من نصيب الأذكياء وذوى المواظبة والجهد والاجتهاد ، وتؤدي الى أن يضطر المختبرون الى التساهل وأخيراً قيام لجنة للرافة في نهاية الأمر تبعث من تبقى من

الدارسين للنجاح بقدر الامكان حتى لا يتضاءل احصاء الناجحين وكل ذلك جرياً وراء الارتفاع بمستوى معلومات الطالب ولا شك أن الطالب المدرك للمقررات والمستوعب لتفاصيل موادها وقواعدها في متونها وشروحها يتخرج بشهادة عالية من الدراسة الابتدائية التي هي المرحلة القصوى لأكثرية الدارسين .

واليوم نشاهد القصور الثقافي في خريجي المدارس بمراحلها المختلفة ، بل وبعض الجامعيين ، فقد شاهدت واستمعت الى اجاباتهم في المسابقات التي تعقدها الاذاعة والتليفزيون في شتى المواد وكيف هي مضحكة وتدل على ضعف الاستيعاب للعلوم المقررة في كل مرحلة وانى بشهادتى الابتدائية من مدرسة أهلية ومثلي كثيرون من الدارسين القداماء استطعنا أن نرقى الى التدريس في مدارس المراحل المختلفة الحاضرة ، ويكفى أن نستعرض الحفنة الباقية من أولئك الدارسين القداماء لنجد منهم الكتاب والأدباء والمدرسين في

الكليات أذكر منهم على سبيل المثال الأساتذة :
أحمد محمد جمال ، حسن قرشى ، أحمد السباعى ،
عبد القدوس الأنصارى ، حسن عواد ، حمزة
شحاتة (يرحمه الله) عبد العزيز الرفاعى ،
ابراهيم فطانى وغيرهم كثيرون متفرقون فى حواضر
المملكة مما لا أذكرهم مع أن بعضهم تخرج
بالبتدائية القديمة وبعضهم من خريجى مدارس
الفلاح التى لا يتعدى منهاجها الثانوية الأزهرية
أو المدرسة الصولتية ، ودار العلوم بالمدينة وكلها
فى مستوى واحد .

الكتب ومقرراتها ومصادرها :

كانت توضع مناهج المراحل العامة فى السابق
وهى لا تتعدى الابتدائية عن طريق الاقتباس من
مقررات البلاد العربية ومناهجها يضاف إليها
خليط من المتون والشروح القديمة (كالألفية
وشروحها ، نهج البلاغة ، وأخصر المختصرات فى
الفقه) وغيرها ، ويأتى المنهاج الأزهرى ، والمدارس
المصرية فى المقدمة ، ومن ثم فالكتب تختار من مصر

وسوريا ولبنان ، فيذهب مندوب المعارف ليجمعها من مخازن المطابع القديمة في الأزهر وغيره في باقى البلاد .

ومن الضرر فى هذا الاختيار والاقتباس أن تلك الكتب المختارة تتكلم عن عادات وتقالييد البلاد الوافدة منها ، وبذلك يعرف الطالب عنها أكثر مما يعرف عن بلاده وقومه وعاداتها وتقالييدها الإسلامية فى مختلف الحواضر والبادى ففى تاريخ مصر الفرعونى ومواعيد الزراعة فى السنة الفرعونية (كيهك وهاتور) وغير ذلك كنا نحفظه عن ظهر قلب .

المدرسون وطرق التدريس :

وبالضرورة كانت المدارس مشحونة بمدرسى الضرورة الخالين من التأهيل للتدريس ، ومدرس الضرورة هذا كان يقوم بمكابدة مرهقة وطويلة حتى يستطيع القيام بمهمته ، وبذلك يصبح مؤهلا اذا طالت ممارسته وكانت لديه الموهبة ولقد ظهر فى مجال التدريس منهم بالمدارس كثيرون استطاعوا

أن يبرعوا في مهمتهم يعرفهم من حضر في دروسهم
وأخذ عنهم من متعلمي اليوم .

وحين تولى السيد طاهر الدباغ (يرحمه الله)
كان من الأمور التي أولاهها اهتمامه إقامة ندوات
ليلية لمدرسي الضرورة (١) يتلقون فيها مبادئ عن
طرق التدريس ووزعت عليهم نسخ من كتاب
(طرق التدريس الحديثة) ، وفي الوقت نفسه جعل
لن يحسنون الفهم والاقتباس من مدرسي الضرورة
أثناء قيامهم بعملهم في مدارسهم مجالا للتقدم
والترقية على غيره لخلق جو من المنافسة في هذا
السبيل ، ثم افتتح معاهد ليلية لتخريج المدرس
المؤهل بمكافأة تشجيعية شهرية ، وقد كان مدرس
الضرورة يلقي مقررات منهجه ومواده بأسلوب
حلقات التدريس بالمساجد ، وغير ملزم باعطاء
التمارين الشفوية والتحريرية بعد الانتهاء من
التقرير لمادته .

(١) كان السيد محمد شطا يقوم بالتدريس في هذه الندوات ووظيفته
مساعد مدير المعارف وقد كان مدرسا بالمدرسة الفخرية وهو من خريجي
الفلاح والتحق بالأزهر وأخذ منه العالمية .

وسائل التربية بالمدارس :

كانت الوسيلة الوحيدة للتربية على كل تقصير أو شقاوة هي العصا يراها التلميذ ماثلة أمامه طيلة اليوم الدراسي في يد المدير والمراقب والمدرس وربما الفراش أيضاً ، ومع أن هذا الارهاب لا يأتي بالنتيجة السليمة بل العكس فهو مثلاً يفتق ذهن الطالب الى حيل وأساليب يستطيع بها أن يتخلص من المسؤولية وما يرتكبه من شقاوات ، ومن ثم يجتمع في وعيه كل روااسب المماثلة والكذب والخبث. ان هيئة المدرسة ومديرها في المقدمة لا ترى سوى العصا وسيلة ، أما دراسة أحوال الطالب ومعالجتها بالحسنى وبطرق التربية الحديثة ونظريات علم النفس فغير وارد آنذاك ، ومع أن نظام المعارف مؤخراً يمنع الضرب الا في الارتكابات الغليظة وبواسطة مدير المدرسة الا أن الاعتياد على استعمال العصا لم ينقطع ، والحجة التي يتذرع بها مدرسو العصا لتأديب الطفل هي أنه أخذ على هذه الوسيلة في تربيته المنزلية وليس من الممكن الالتزام بنظام

المعارف الجديد في التربية ، والذي يظهر لى أن لا يزال للعصا شأن كبير في التربية بالمنزل والمدرسة ، وفي أزمان سبقت جرت من استعمال العصا وقائع محزنة أدت الى الموت ومع ذلك نجما مرتكبوها من القصاص بحجة أن القصد كان للتربية (١) وسكت ولي الطالب ، ولقد كان ولي أمر الطالب اذا عرضت عليه المدرسة أمور تقصير ابنه أو شقاوته يجيب : هذا الولد ولدكم ربوه أنا لى اللحم وأنتم لكم العظم ، بمعنى أنه يمكنكم تكسير عظامه ليصاب بعاهة من العاهات ومن ثم لعبت العصا والفلكة دوراً كبيراً في التربية آنذاك.

الطالب وسير دراسته :

كان الطالب ووليه لا يعنيهما من السير الدراسى ما يعنى طالب اليوم ، وهذا من دواعى انحصار التعليم فى مرحلتين أولية وابتدائية

(١) يقال والله أعلم أن القتل فى سبيل التربية للطفل لا يؤخذ فاعله شرعا وعلى هذا الأساس نجا أولئك المدرسون من القصاص ، ولا أدري هل هذا القول له أساس من الصحة أم أنه من اشاعات القنماء لا سيما المدرسون .

والتركيز فيهما على علوم الدين واللغة العربية
ومن الدواعي أيضاً أن الأعمال في المجتمع خاصتها
وعامتها لا تتطلب مؤهلات عالية ، والأكثرية من
أولياء الطلبة يكتفون من الدراسة بالقراءة وتحسين
الخط ومبادئ الحساب والاملاء ثم يسحبون أبناءهم
من المدرسة لمعاونتهم في أعمالهم المختلفة ، ولا يزال
هناك فريق منهم يمانع في التحاق ابنه أو ابنته
بالتعليم الجامعي ومن هذا المنطلق لا يهتم الطفل
بالحضور والغياب ولا بأداء الواجبات المدرسية ،
وهذا يجعل مهمة المدرس صعبة يمكن وصفها بالنحت
في الصخر ، وكان المثل الشائع (صنعة أبوك
لا يغلبوك) هو الأساس في تكون مستقبل الطفل ،
والحمد لله أن صنعة والدي كانت التدريس وورثتها
عنه .

نهاية المطاف في التعليم :

وبعد ما يقرب من ثلاثين عاماً قضيتها في خدمة
العلم ، ومكابدات التعليم في الزمن القديم ،

وقضيت فيها زهرة شبابى طلبت الاحالة على
 التقاعد قبل أن أبلغ الاحالة الجبرية بعشر سنوات
 للأسباب التى مر ذكرها ، وكان نصيبى بعد كل
 تلك السنوات الطوال مبلغ (٤٥٠ ريالاً) (١) معاشاً
 للتقاعد ، ولقد كان من رحمة الله بى وبعائلتى أن
 بعثت المعارف ابنى للدراسة بمصر وذهبت بهم
 جميعاً الى هناك حيث كانت الحياة رخية فاستطعنا
 أن نعيش بالراتب البسيط وقد رجعت بأبنائى
 جميعاً متعلمين يحملون الشهادات الجامعية (٢)
 ويخدمون بلادهم ودولتهم . ●●●

(١) ان سرد الحقائق مما له صلة بالواقع هو للتعريف بالحياة القديمة
 ومداولاتها وهذا من صميم تاريخ المجتمع ، وأثابر على تسجيله متمثلاً
 بقول الشاعر :

من راقب الناس مات غمًا وفاز باللذة الجسور

(٢) ابنى جعفر دكتوراه في الهندسة الميكانيكية قسم الحراريات وهو اليوم
 وكيل جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة وأخته الكبرى بكالوريوس في
 الطب مع دبلوم التخصص الباطنى من جامعة القاهرة بمصر ومعيدة بكلية طب
 جامعة الملك عبد العزيز بجدة ومبتعثة للزمالة بلندن ، وأخته الوسطى
 بكالوريوس المعهد العالى للتربية الفنية بمصر ومديرة مدرسة ثانوية بالملكة
 وأخته الصغرى ليسانس علم النفس الاجتماعى بكلية آداب عين شمس بمصر
 وموظفة بمكتبة الكلية للبنات بمكة .

الفهرست

صفحة	
٥	مقدمة :
٦- ١٢	ماضى التعليم وحاضره :
٦	الماضى ومكابداته
٨	الحاضر وترفه
١٣- ٢٥	سير التعليم والمستوى الحضاري للمجتمع :
١٥	التعليم في الحجاز ومؤسساته
١٨	حلقات التدريس بالمساجد الكبرى
١٩	والدى بكر صبّاغ
٢٠	مدرسة الخيّاط
٢٢	المدارس التركية
٢٣	المجتمع الحجازي على العهد العثماني
٢٦	العهد الهاشمي في الحجاز :
٢٨	المجتمع في العهد الهاشمي
٣٠- ٤١	التعليم في العهد الهاشمي :
٣٢	مدرسة الزراعة
٣٢	المدرسة الحربية
٣٦	المدرسة الفخرية
٤١- ٥١	الالتحاق بمدارس الحكومة :
٤٢	مدرسة الصفا التحضيرية

صفحة

٤٤	مدرسة جدة الابتدائية
٤٦	المدرسة العزيزية الابتدائية
٥١-٤٨	تطور التعليم في العهد السعودي :
٤٨	السيّد طاهر الدبّاغ
٤٩	تحضير البعثات
٥٣-٥١	المدارس الأهلية والابتعاث :
٥٣	انقطاعى عن التعليم :
٦٠-٥٤	السفر الى تهامة عسير :
٥٦	الحياة فى تهامة عسير
٥٨	الزراعة فى تهامة
٦٠	مدرسة ينبع البحر :
٦١	ينبع الطبيعية
٦٢	مدرسة الطائف الابتدائية :
٦٥	الشيخ محمد بن مانع :
٦٦	المدرسة السعدية
٦٦	المدرسة السعودية بمكة
٦٧	ادارة المدرسة العزيزية
٦٩	المعهد العلمى السعودى بمكة :
٧٠	سمو الأمير فهد بن عبد العزيز وزيراً للمعارف

صفحة

٧٢	الشيخ حسن آل الشيخ وزيراً للمعارف
٧٧-٧٤	التفتيش ومتابعه :
٧٤	توطئة
٧٥	الدورة التفتيشية الأولى بمدرسة دخنة بالرياض
٧٥	الدورة التفتيشية الثانية بمنطقة المدينة المنورة
٧٦	الدورة التفتيشية الثالثة بمنطقة حائل
٨٥-٧٨	السير السابق للتعليم في النواحي الخاصة :
٧٨	المقررات والمناهج
٨٠	الكتب ومقرراتها ومصادرها
٨١	المدرسون وطرق التدريس
٨٣	وسائل التربية بالمدارس
٨٤	الطلاب وسير دراسته
٨٦-٨٥	نهاية المطاف في التعليم :

بيان كتب المجلد الثالث

رقم العدد	اسم الكتاب
٢١ -	حمزة شحاتة
٢٢ -	غناء وشجن
٢٣ -	ذكريات لا تنسى
٢٤ -	خولة بنت الأزور
٢٥ -	رحلة في كتاب من التراث
٢٦ -	الحسن بن أسد الفارقي
٢٧ -	الامام الشافعي
٢٨ -	أرطاة بن سهية
٢٩ -	مدائن صالح
٣٠ -	ذكريات مدرّس

1870

1870

1870

[تصويب آية قرآنية]

جاء في صفحة ٢٥ في الهامش ، السطر الثالث
خطأ مطبعي في الآية القرآنية الكريمة والصواب
هو :

(يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى
وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ
اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) .

الكاتب بقلمه ..

بسم الله الرحمن الرحيم

ولدت بمكة في رمضان سنة ١٢٤٧ هـ



بدا تعليمي بالكتاب وكذا

الحياطة ومنه للقلوب قسم

الحفاظ . انقضت من

الدراسة وعدت اليك بالدراسة الفخرية حتى حصلت

على الشهادة الابتدائية وتبعت به مسابلا . تحولت

الى ادرس الحكرم ليعود . وتقلبت في وظائف حتى تبعت

فقتا بالوزارة . الفت بعض الكتب من رسم وغيره منفردا

ومشاركة ، ثم بعد ذلك عاملا في قسم التعليم طيلة ايام

للقائه وتوجهت الى قسم تعليم حيالي . اسأل الله الحيالي

خاتمه السادة انه يجمع بحسب ما يشاء

عبد الرحمن بكر صفي